

المرأة والمجتمع

بقلم
رئيس التحرير

ليس عيب المرأة عموما ان الطبيعة حددت لها اعمالا وليس عليها ان طبيعة تكوينها الجسماني يتعرض لتأنيب وآلام لا يتعرض لها جسم الرجل ، وانما العيب في اولئك الذين يريدون ان يحصروها في هذا الاطار لا تتعداه ، ولا تحيد عنه ، وان كانت قادرة على الخروج منه ، والانفصاع الى الحياة تكافح كما يكافح الرجل . ان العمل اي عمل لم يكن مقصورا على الرجال وحدهم ، كما انه لم يكن مقصورا على المرأة وحدها . فالذي يستطيع ان يقوم به بكفاءة ويؤديه على اكمل وجه ، فهو الذي يستحق شرفه .

قد يكون هناك اعمال لا يستطيع بعض الرجال ان يقوموا بها على اكمل وجه ، وقد يكون هناك اعمال لا يستطيع بعض النساء ان يقن بها ، ويؤدنها على اتم وجه ، لكن ليس معنى ذلك ان هذه الاعمال مقصورة على اي منها لا تتعداه ، وانما هي مقصورة على الذين يستطيعون ان يقوموا بها بكل جدارة وبكل مقدرة . ان العمل ، اي عمل ، سينبذ نبد النواة ، اي رجل او اية امرأة لا تقوم به خير قيام ، ولا تؤديه على اكمل وجه واتمه . هناك اعمال قامت بها بعض النساء ولم يستطع ان يقوم بها الكثير من الرجال . وهناك اعمال ابدع فيها الرجل ايبا ابداع ، ولم تستطع المرأة ان تدع فيها كما ابداع الرجل .

الجدال الذي دار ، وما زال يدور حول المرأة وحول حقها في الحياة الاجتماعية ، لمسا بينه بعد ، والذين يجادلون في موضوع المرأة تختلف نظرتهم اليها ، باختلاف ثقافتهم ، وباختلاف عقليتهم ، بل وباختلاف نظرتهم الى المرأة نفسها ، واختلاف نظرتهم الى المرأة هو السبب الرئيسي لاختلاف وجهات نظرهم حولها كما نعتقد ، ذلك لان نظرتهم اليها لو كانت نظرة واحدة متشابهة ، لما حدث هذا الاختلاف ، ولما حدث هذا الجدل ، ولما اتى كل طرف بحجج يعتقد انها هي الحجج الصائبة القوية .

والمرأة والرجل خلقا من نفس واحدة ، كلاهما يتمتع بالمميزات التي ينتج بها الاخر ، وما دامت المرأة نصف الرجل ، فان الرجل نصف للمرأة ايضا ، واذا كانت طبيعة الحياة قد حددت لكل منهما مجالا يستطيع ان يسير فيه ، ويعمل بوجبه ، بكل كفاءة ومقدرة ، فليس معنى ذلك انه لا يستطيع ان يعمل ويسير في المجال الاخر ، وانما معناه ان تكوينه الجسمي ، وطبيعته البنينة ، تلائم كل الملامية المجال الذي حدد له . ان النظرة الى المرأة على انها مخلوق محدود العقل ، نظرة خاطئة ، على ما نعتقد ، فلا المرأة ناقصة العقل كما يدعي المدعون ، ولا تكوينها الجسماني عائق عن القيام بالاعمال التي يقوم بها الرجل ، فقد شاهدنا اعمالا بارزة في الحياة قامت بها المرأة خير قياس ، بل ربما بزت في القيام بها الرجال .

الحياة ، واستمرارها ، ولا يمكنها بناء الحياة الا بتعاونها ، وتعاونها يتم بالتفاهم بينها ، والتفاهم بينها يؤدي الى ازدهار الحياة ، وتقديمها .
لا يمكن للمرأة ان ترفض طبيعتها مهما كلف الامر ، ولا يمكن للرجل التكر طبيعته ايضا ، إذا فماذا يخشى دعاء عزل المرأة من الحياة الاجتماعية ؟ لماذا يخشون اعطاء المرأة القدرة حرية العمل والاختلاط بالرجل في عملها ؟

يقع لدعاء عزل المرأة من الحياة الاجتماعية ان ينادوا بهذا العزل ، اذا ما وجدوا وثبت لهم بالدليل القاطع ان الرجال كل الرجال مفسدون وغير صالحين ، وان النساء كل النساء مفسדות وغير صالحات . ولا نعتقد ان بيئة يعيش فيها مثل هؤلاء المفسدون والمفسדות ، بيئة تستحق شرف الحياة . بل لا نعتقد ان هناك بيئة على اي جزء من هذه الكرة الأرضية مثل هذه البيئة الفاسدة المفسدة .

ان كان يتعذر على المرأة رفض طبيعتها ، فلا يمكن للرجال ان يخشوها ، فالمرأة التي لم تجد طبيعتها تساعد على القيام بمهامها كرامة داخل البيت ، لماذا تحرم من القيام بها يتناسب وطبيعتها خارج البيت ؟ واذا كانت ظروف المرأة عموما تحتم عليها القيام باعباء البيت ، فلا شك انها حسب طبيعتها وظروفها تستغل القيام باعباء البيت ، وان يشغلها عنه شغل ، مهما كلف الامر .

لكن المرأة ، التي لا تتوفر لها هذه الشروط فنان المجتمع سيحتاج اليها بلا شك لتؤدي دورها في الحياة التي تصلح لها ، وتتناسب ومؤهلاتها البدنية والعقلية . وكما ان الرجال مختلفون في قدرتهم البدنية والعقلية ، كذلك النساء ايضا يختلفن في قدرتهن البدنية والعقلية .

وكما ان الرجال يختلف بعضهم عن بعض في الاعمال التي يقومون بها ، كذلك النساء ايضا ، يختلفن في الاعمال التي توكل اليهن .

فهنالك امرأة تصلح لعمل يجب ان يقوم به الرجل وتقوم به على اكمل وجه ، بينما يعجز عنه هذا الرجل ، فلماذا لا يسند اليها هذا العمل وتعطى مسؤولية القيام به ؟

ولماذا يوكل لاراة عمل تعجز عن القيام به ، ولا تقدر على تحمل اعبائه ؟

وهناك رجل يصلح لعمل يجب ان تقوم به المرأة ، ويقوم به على اكمل وجه ، بينما تعجز هذه المرأة عن القيام به ، فلماذا لا يسند اليه ، ويعطى مسؤولية القيام به ؟

ولماذا يوكل لرجل عمل يعجز عن القيام به ، ولا يقدر على تحمل مسؤوليته ؟

ان النظرة الى المرأة يجب ان تتساوى والنظرة الى الرجل ، فلا الرجل تشيل كفته عن المرأة في الحياة الاجتماعية ، ولا المرأة تشيل كفتها عن الرجل . ان السيطرة التي تنسم بالاضعاع والقسر يجب ان تزول ، لا سيما في هذا العصر الذي يحتاج الى مجهود ابنائه من الجنسين .

والنظرة الى المرأة يجب ان تكون نظرة التصف المكمل للتصف الاخر .

ومجال العمل يجب ان يفسح للمرأة القدرة ، تماما كما يفسح للرجل القادر ، اذا ما ثبت صلاحها له . الرجل الذي لا يقدر ان يقوم بعمله خير قيام عليه ان يتحنى عنه ويفسح المجال للذي يصلح له ، سواء كان امرأة او رجلا .

والمرأة التي لا تصلح لعملها عليها ان تتحنى عنه ، لتفسح المجال امام القادرة على القيام به ، او القادر على تحمل اعبائه .

اذا كانت ظروف المرأة لا تساعد على تحمل عبء العمل ، اي عمل تقوم به ، فلماذا تقحم نفسها في عمل لا تصلح له ، ولا يصلح لها ؟

واذا كانت ظروف البيت لا تسمح لها بالقيام باعمال خارجه ، فعليها ان تعمل حسب طاقتها ومقدرتها وظروفها هذه .

ان القيام باعباء البيت من اشرف الاعمال التي تقوم بها المرأة واجلها . واذا كانت للطبيعة قد اعطت المرأة مجالا اوسع للعمل في البيت ، فليس معنى ذلك ان كل النساء يجب ان لا يعملن الا في البيت ، ذلك لان ظروف النساء ، بل وطبيعتهن تختلف ، وتتفاوت ، تماما كما تختلف وتتفاوت ظروف الرجال وطبيعتهم .

هناك نساء لا يمكن ان يصلحن الا للبيت ، والبيت وحده ، ولو حاولن الخروج من البيت للميل لفشلن ، ولما استطعن تحقيق شيء .

وهناك نساء لا يصلحن للبيت ، ولو حاولن ذلك ، فهؤلاء النساء يمكن ان ينجنن في اعمال اخرى خارج البيت .

شاهدنا وما زلنا نشاهد الكثير من النساء يقمن باعمال لا يستطيع الكثير من الرجال ان يقوموا بها .

ان المرأة التي تحتم عليها ظروفها البقاء في البيت ، لا شك ان بقاها فيه في مصلحتها وفي مصلحة امها . لو ان كل النساء خرجن من بيوتهن ، لفسدت الحياة واختل نظامها ، وهددت امنها الاخطار .

ولو ان كل الرجال عكفوا في البيوت ، لتعطلت حياتهم ، وحياة الآخرين .

ان طبيعة الانسان — رجلا كان او امرأة — طبيعة لا تختلف باختلاف بيئته الاجتماعية ، فطبيعته ان يبني وان يعلي البناء ، والرجل والمرأة ، ما خلقا الا لبناء

هل الاعمال موقوفة على الرجال وحدهم ، او على النساء وحدهن ؟

ان العمل للصالح من بني البشر ، ان رجلا وان امرأة ، فالحياء للصالح والبقاء للصالح .

ان الذين لا ينظرون الى المرأة ببصائرهم يخطئون النظر ، ولا يستطيعون ان يرتفعوا بكرامة المرأة ، وبحقها في الحياة الحرة الشريفة .

والذين ينظرون الى المرأة ببصائرهم ويحكمون عليها بهذه النظرة فهم مخطئون ايضا ، ذلك لان المرأة لا تختلف عنهم في شيء ، فاذا كانوا يعرفون الكرامة والحرية والشرف ، فهي مثلهم تباها تعرفها ، وتقدرها وتحترمها ما قَدَّرَتْ واَحْتَرَمَتْ .

والذين ينظرون الى امرأة ، اي امرأة ، نظرة واحدة مخطئون ايضا ، والخطا ان يقيس الانسان ، الانسان الاخر في مقياس واحد مع الآخرين ، اي ان يقيس الخطاء ، اي خطاء ، بالآخرين ، يقياس باطل ، ولا قيمة له .

والنظرة الى الرجل الخطاء ، يجب ان لا تتساوى والنظرة الى الرجال كل الرجال ، فالخطاء عضو اشل في جسم الامة ، عليها علاجه او اصلاحه ، واذا تعذر ذلك فازالته اولى وانفع .

والحكم على النساء من خلال نظرة الى امرأة خاطئة ، حكم ظالم ، لا يقوم على العدل ، ولا يستند الحق ، ويلغيه المطلق ، بل انه حكم باطل سرعان ما تقوض اساسه الايام .

ليس النساء ، كل النساء ، معصومات من الزلل والخطا ، وليس الرجال كل الرجال معصومين ايضا عن الزلل والخطا . .

واذا كانت طبيعة الحياة قد جعلت خطأ المرأة اكبر واضر من خطأ الرجل ، فليس ذلك ما يدعى الى عزائها عن الحياة الاجتماعية ، فالخطاء لا شك انه سيتحمل خطاه ، ولا شك انه سيثبت عدم جدارته وكفائته بالخوض في الحياة الاجتماعية على اختلافها . ان المرأة الخاطئة ستكون عنوانا للخطا امام المجتمع . والرجل الخطاء سيكون ايضا عنوانا للخطاء امام الناس ، وكل منهما يتحمل ما يمكن ان يؤدي اليه خطاه امام الله والمجسد .

ليس هناك رجال مجردين من الاخطاء والمثالب ، وليس هناك نساء مجردات من الاخطاء والمثالب ايضا ، لكن المسئلة تتعلق بمدى هذه الاخطاء والمثالب ، وتعلق بمقدرة الرجل والمرأة على تحملها واستعدادها لاصلاحها وازالتها .

ان من الظلم ان يحرم المجتمع من نصف الامة ، بسبب نظرة خاطئة ، او حكم جائر ، الامر الذي يؤدي الى عرقلة سير الامة نحو تقدمها وازدهارها . ؟

ان الوقت الذي كان ينظر فيه الى المرأة نظرة الانسان الناقص قد زال ، او يجب ان يزول ، ان النبي الكريم محمد بن عبدالله بايع المؤمنات استقلا ، اسوة بالرجال ، بايعهن تباها كما بايع المؤمنين . ان الحياة في هذا العصر تطورت تطورا كبيرا ، واخذت الالة تدخل حياة الناس ، داخل البيت وخارجه ، لكن هذه الالة تحتاج الى ايدي التي تسيرها ، والعقل الذي يرسم لها طريق سيرها ، وايدي الرجال وايدي النساء يجب ان تشترك في تسير هذه الالة ، وكذلك عقول الرجال وعقول النساء عليها ان ترسم الطريق لسير هذه الالة ، والايدي القوية والعقول الناضجة هي التي تستطيع ان تشترك في تسير الالة ورسم طريقها .

لا يصح ابدا ان تحول بعض عقول وافكار فئة قليلة من الناس دون تقدم الامة ، ودون دفعها الى الازدهار . واي ضرر يصيب الامة من جراء نظرات خاطئة ، وتحاول فرض نفسها على الناس والمجتمع .

قد تنطبق هذه النظرات الخاطئة على بعض ضئيل من النساء بالنسبة للمجتمع كله ، ولكنها على كل حال لا تنطبق على كل النساء ، ولا على المجتمع كله .

ربما جرت نظرة خاطئة الى مشاكل واضرار وخسائر على المجتمع والناس ، وربما ادت الى عواقب وخيمة ، لا يمكن تقديرها الا بعد وقوعها ، لكن اصحاب النظرات الصائبة ، والافكار الثقافية يستطيعون ان يفحصوا ويتبينوا ببطل هذه الاضرار والخسائر ، ويعرفوا عواقبها الخوية .

لو اخذ بمثل تلك النظرات الخاطئة ، لحزمت المرأة حتى من القيام بطبيعة عملها ، السذي قل ان يصلح له الرجال ، ولحزمت الامة من اهم دعم تقدمه لها المرأة ، ولشلت حركتها نحو بناء مجتمع متقدم يقوم على جهد المرأة والرجل . « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها » . ان الرجل والمرأة في مرتبة انسانية واحدة ، وكما ان الرجل مكمل للمرأة ، فكذلك المرأة مكمل للرجل ، ولا يعيب المرأة ان تسلم الرئاسة في البيت للرجل ، ولا يعيب الرجل اذا رأى كفاءة المرأة ومقدرتها ان تسلم الرئاسة اليها ايضا .

فهناك بعض النساء يستطعن تحمل رئاسة العمل الذي يوكل اليهن بن فيه من رجال ونساء . اذا فالمرأة تستطيع ان تقدم لامة خدمة جليلة عظيمة ، وتستطيع ان تحقق الكثير من المكاسب لشعبها ولوطنها ، في مختلف المجالات .

أَكْبَرُ السَّخَرَةِ وَالْمَجُونِ

لم يخل تاريخ الادب في امة من الامم ولا في عصر من العصور من افراد اشتبهوا بالمجون ، وتوفروا على الدعاية ، وصدرت عنهم كلمات مرحة اضحكت الناس ، وطرائف دونتها الآثار ، وجرت على اللسان ترديداتها في الاحوال والمقامات المناسبة على سبيل التلحح والتطريف .

وهناك شعوب اشتهرت بين شعوب الارض بالفتكة الباردة ، والدعاية العذبة ، والفائدة الحلوة ، تتساقط في كلامها ، وتتناثر من اقلابها ، تخفف بها وقع الاحداث ، وتفس عن نفوسها قسوة الطغاة الذين لا يستطيع ان تصرح بحقيقة مشاعرهم نحوهم ، او التسلية الذين تنفر منهم ، فتلجأ الى الرمز والفورية والى ضرب الامثال ، لتخلص من الحرج الذي توقعها فيه الكلمة المريحة ، فتجد النفوس راحتها في القول ، ويشعر السامعون بالنشوة والانبساط كما يحس بهما المتكلمون .

وما احوج الارواح الى الراحة ما تكابد في حياتها من العنت والارهاق ، وقديما قيل « لا بد للممدور ان ينفث » . وانشد ابو الفتح البستي :

افد طبعك المكدود بالجد راحة

يجم وعالله بشيء من المـزح
ولكن اذا اعطيتـه المزج فليكن
بمقدار ما تعطي اطعام من الملح
وقال ابو نواس :

اروح القلب ببعض الهزل

تجاملأ مني بغير جهل
امزح فيه مزح اهل الفضل

والمزح احيانا جلاء العقل

وليس ذلك بحسب حاجة من حاجات النفس البشرية التي تتطلب السلو ، ومن مقتضيات الحياة التي تتطلب التورية حينما بعد حين ، حتى يستطيع الانسان مواصلة السعي فيها حياته له الاتسار من عمل وكساح يستنفذ العزم ، ويستهلك النشاط ، ولكنه



الدكتور
بدوي طباطبة

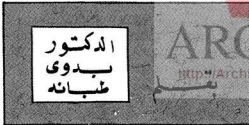
- ولد بمدينة الشهداء بمحافظة القوية سنة ١٩١٤م
- تخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ثم حصل على درجة الماجستير بالتميز ودرجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى.
- تقلب في وظائف التدريس العام ، حتى عين مدرسا للبلاغة والنقد الادبي بجامعة القاهرة ، ثم رقي استاذاً مساعداً ، فاستاذاً .
- اعيد مدرسا بدار المعلمين العالية ببغداد ، واعد مرة اخرى استاذاً بكلية الآداب بعد انشاء جامعة بغداد .
- اختير عضواً بؤنبر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربي الذي انعقد بالقدس سنة ١٩٥٥م .
- شارك ببحوثه العلمية والتقنية في عدد من مهرجانات الشعر ومؤتمرات الانبياء العرب .
- نشر عدد كبير من بحوثه ومقالاته في المجالات العلمية والادبية في اكثر بلاد العالم العربي .
- طبع من سائرته العلمية خمسة عشر كتاباً في البلاغة والنقد الادبي والدراسات الادبية .
- يشغل الآن وظيفة استاذ الكرمي ورئيس قسم البلاغة والنقد الادبي والادب الحائرين بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

السوفسطائي « ينبغي ان يفسد الجذ بشده ، اي بالهزل ، ويفسد الهزل بالجد » ويصف ارسطو جورجياس بأنه مصيب في هذا القول .

وذكر ارسطو ان من انواع الهزل ما يليق بالرجل الكريم ، وهو الهزل الذي لا يضر صاحبه شرا ، ولا يعرض فيه بأمر تبيح ، بل يكون ما هزل فيه هو ما يقصده من غير ان يعرض او يكتي بذلك عن امر تبيح ، ولذلك قيل ان المازح يواجهك بالمزاح ، ويهدي لك ما في نفسه ، واما المعرض فهو يخادعك ويوهيك انه يتكلم في شيء ، وهو يذهب بالهزل الى شيء اخر قبيح ، ولذلك فان المازح اشد بالكرم لانه يصدق عن ذات نفسه ، والمعرض اشد به بالثلث ، لانه يخفي شرا وحدا .

وتحدث علماء البلاغة العربية عن « الهزل الذي يراد به الجذ » وهو ان يذكر الشيء على سبيل اللعب والمبالغة ، ويقصد به امر صحيح في الحقيقة ، والفرق بين هذا وبين « التهكم » في ان التهكم ظاهرة جد وباطنه هزل ، والاول بعكسه .

وذلك لون من الوان الادب المازح ، وهو الوان



وانواع ، لكل لون منها غاية ، ولكل نوع مذاق .. ولكن هذه الالوان تلتقي جميعا في ابتاع السامع والقاري ..

وليس ذلك الابتاع موقفا على طبقة من الناس دون غيرها من سائر الطبقات ، بل ان من تغلب عليهم الزمالة والزهادة يشاركون اهل الرخاوة والاحتلال في الاستمتاع بما يقرأون او يسمعون اذا ما اتبع لهم ان يقرأوا او يسموا ، كما يطرب للالسان والانشيد من يصني اليها ، وكما يفتن بشهاد الطبيعة من يطالعها ومن يتألمها ، وكما يعجب بالصور والرسوم من ينظر اليها ، بصرف النظر عما تحاكيه من معان وافكار ، او ما تثيره من خواطر ، او ما يصطدم به من مبادئ الحق او الفضيلة .. وانما هي متعة الحس ، ونشوة النفس التي لا تبالي كثيرا بما وراء متعتها من القيم او الغايات التي قد لا تراولها ، ولا تشارك فيها من قريب او بعيد .

مع ذلك مندوب اليه في احكام الشرع التي تقدر طبائع النفوس ، وتقدر طاقتها على الاحتمال ، فقد جاء في صحيح الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان هذا الدين يسر » كما اثر عنه قوله « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة » . وقال الامام علي « اريحوا قلوبكم من الجذ ، فان القلوب اذا ملت عبيت ، واذا عبيت لم تنفع شيئا » !



غير ان من اسباب السلو ما يتجاني هو ومكارم الاخلاق ، ومنها ما قد يخدش وجه الفضيلة ، وما تحمر له الوجوه خجلا ، وما ينتقص مروءات الرجال ، والاحتشام الواجب للنساء من كلمة نابية ، او سلوك لا يجبل بالانسان الفاضل الكريم .

كما ان السخرية من الناس ومحاولة انتقاصهم حاضرين ، او تلبيهم فضائلهم والنيل من كراماتهم اذا كانوا غائبين ، تنكره قواعد الاخلاق ، وتباه الشرائع والاديان ، حتى شبه القرآن من لايبالي ذلك بمن يلك لحم اخيه ميتا .

وفيما ادب الله تعالى عباده المؤمنين في قوله : « ياايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلبسوا انفسكم ، ولا تهاجروا بالانقاب ، بشئ الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون » اوضح دليل على تحريم السخرية من عباد الله ، بعد ان بين سبحانه التكان ان يكونون المستهزا به خيرا من المستهزي الذي يتتبع عورات الناس ، ويفتنش عن معاييمهم ، ليشر بهم ، ويذيع عنهم ما يكرهون .

ولا شك ان النفوس بطبيعتها اكثر تقبلا لما يثير الضحك والسخرية ، لتدفع به اسباب السأم الذي يصاحب التزام الجذ والتوقر ، وما يلقي على قسبات الوجوه من سحاب الكدر والعيبس ، ومن التزمت الذي كثيرا ما ينثر الجلساء ، وينافي خفة الروح ، ويصير بالانسان الى حياة الوحدة واعتزال الناس .



ولذلك كان القصد والاعتدال ، والتوسط بين ما يرضي وما يسخط ، واخذ النفوس بالجذ الذي يخفف من حدته شيء من الهزل المقبول الذي لا اعتداء فيه على الحريات ، ولا انتقاص في للاعراض ، ولا انتصار الى السفة والابتذال - اقرب الى القبول ، وادنى الى تحقيق الغاية من ارضاء النفوس .

وقد اشار ارسطو الى فعل الهزل والسخرية في المنازعات ، وقال ان لها اثرا كبيرا في نجاح المتكلم ، وفي نيله من خصمه ، واتشاد بقول « جورجياس

أرب السخرية والمجون

في ميدان المجون والسخف ما أراد . وكان يقال ببغداد
ان زمانا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدا .
ويقال ان ديوان ابن سكرة يربى على خسين
الف بيت ، منها في قينة سوداء يقال لها « خرة »
اكثر من عشرة الاف بيت ، وكانت عرضة نوادره وملحه ،
وكان يصنفها بالبخير ، ومن اخف ما يتمثل به من شعره
فيها قوله :

هل لك يا « خصرة » في بحرة

مرحبة ما مثلها بحر ه ؟

سيري الى البصرة واسترزقي

ربك بالتكفة في البصرة !

غلو عرضت الرقيق في سوقها

لا تبتيمت التفلة بالبدرة !

تركبو بها التخل وتحمر في

غمر اوان الحمرة البصرة !

ومن اولئك المجان واهل السخرية راشد بن
اسحاق المكنى بابي حكيمة الذي اسرف امرانا
شديدا في وصف ما يستتبع التماس فكره ، وان لم
يكن اوحده المجان في ذلك ، بل سبقه اليه غيره
من الذين اشرفنا اليهم ومن غيرهم ، ولكنه اصبح كالخست
به ، حتى ضرب به في ذلك المثل .

ومن تلك الاخوان ما يشهره الشعراء المهاجرون في
وجه خصومهم ، ويتخذونه سلاحا في الهجوم على
مناوئهم ، او من اتدادهم الذين ينفسمون عليهم ،
ليخطوا بنازلهم بين معاصريهم ، ويسدوا امامهم ابواب
العظيمة والتحليق ..

وكانهم يجدون في ذلك راحة لانفسهم ، ووسيلة
لازاحة عقبات تعترض سبيل شهرتهم ، وتحول بينهم
وبين ما يشتهون من غلو المنزلة وبعد الصيت اذا ما
خلا لهم الجو بالقضاء على مناوئهم الذين ينازعونهم
قصب السبق . كما يستخدمنه في الدفاع عن انفسهم
اذا تصدى لهم اعداؤهم ، لجحوا انفسهم من التردى
في اعين الناس بما ينال اعداؤهم منهم .

ويتسع باب الهجاء للليل الجارح للاعراض ،
وابراز الخنازي ، والكشف عن السوءات ، فلا ينف فيه
الاديب او الشاعر من رمي خصمه بالمثالب ، وتعمريته
اسام الناس ، ومحاولة اظهاره في صورة تبيحة
تقذي بها العميون ، وتشتمز منها النفوس ، ويندى
لها جبين الفضيلة والانسانية ليثير الضحك منه
والسخرية به .

ومن ابرز صور هذا اللون شعر التناقض ، واخصه
ما كان بين جرير والفرزدق ، وكذلك ما كان بين بشار
وحماد ، وغير ذلك مما هو معروف في تاريخ الادب
المعربي .

ومن تلك الاخوان ما يفتي فيه المتكلم اسرار نفسه
او خاصة اهله ، ولا ينف فيه عن ذكر سوءاته ،
ووصف مغابراته ، فيكشف ستر الله عنه ، ويصرح
بما تابها قواعد الاخلاق وحرمة الدين ومتابيس
السلوك .

واصحاب هذا في الغالب هم طائفة من اهل البطالة
والفساغ ، ومن الذين خلموا عذار الكرامة ، ونشوا
عن انفسهم ثوب الحياء ، فاصبحوا لا يبالون بالناس ،
فابتذلوا اعراضهم ، وعرضوا اسرار حياتهم الخاصة
في اسوأ الصور .

●●●

ولم يكتف هؤلاء بتصوير ما كان كذا كان ، بل انهم
كانوا يسترسلون في اوهامهم ، ويضيئون من خيالهم
ما لا يتأتى ولا يكون ، امعانا في التكلف ومعتمد
المبالاة ، حتى انهم ليخرجون عن تصوير واقعهم المتهاق
الى الخلافة والاعراق ، ذهبوا الى الغراب ، وطلبوا
للاعجاب ، حتى اصبح ادبهم او اصبح مخازيرهم مادة
للسمر عند اهل البطالة والفراغ .

ويشل هذا اللون في الادب العربي كثيرون من
الجاهلية حتى زماننا ، ومن اشهرهم : امرؤ القيس
الذي اسرف في كشف خبيثاته في ابواب من معلقته ،
وفي قصائد غيرها ..

ومنهم ابو نواس في خبائره وفي غزله الفلثاني
وفي مجونه وتصايبه ، وقد اصبح علما في شعر
الخلافة والمجون .

ومنهم الحسين بن الفهك المعروف بالخليع ،
وقد وصفه ابن خلكان بانته شاعر ماجن مطبوع ،
حسن التفتن في شروب الشعر وانواعه .

والحسين بن محمد بن جعفر بن الحجاج الكاتب
الشاعر المشهور ، ذو المجون والخلعة في شعره .
وكان كذا يقول ابن خلكان فرد زمانه في فنه ، فانه
لم يسبق الى تلك الطريقة نوع عذوبة الفاظه ،
وسلامة شعره من التكلف ..

ومنهم ابن سكرة الهائسي الذي وصفه ابو منصور
الثعالبي بانته شاعر متسع الباع في انواع الإبداع ، فائق
في قول الملح والطرف ، احد الفحول الامراء ، جبار

موضوع الهجاء المقذع ، ومادة المجون الذي يجاوز
دائرة المؤلف من المعاني والاخيلة ..



ولهذا اللون من الادب خصائصه البارزة التي
يحق بها غايته ، ومن تلك الخصائص التي تبدو فيه
اكثر مما تبدو في اي من آخر من الفنون الادبية الغوص
على المعاني النادرة التي تمتاز بالجدّة والطرافة ،
ثم الغار في تلك المعاني ، وتاليف الصور التي يتم
بتألفها ووحدة اجزائها الاستمتاع بالجديد الطريف ،
ثم روح الدعابة والسخرية . وتلك المعاني والصور
مما يقل شيوعه وندرته استعماله عند عامة الادباء ،
لظلة تعرضهم لها ، بالإضافة الى ما تنسم به عبارتها من
السلاسة والمؤذية مما يحقق غاية هذا الفن في الابتاع ،
ولا اقول في النيل من اعراض الناس وكراماتهم ، الا اذا
عزى عن ظروفه وملايساته ، فان اكثر اولئك
الشعراء يحيون في جو من الصدقات الشخصية ، وجو
من اللطافة الفنية ، حينما يستشعر كل واحد منهم الانس
بأخيه ، واطراح التكلف بينهما ، فيدع شاعريته
تطلق على سجيتهما من غير قسر او التزام بحدود
او قيود .



وقد احتفظت مجاميع الادب المأثور من نقاج
الانلاف بما لا يحصى من الادب الساخر ومن ادب
المجون الذي تشر في كتاب الاغاني لابي الفرج ، وفي
نهج الادب اللغوي ، وفي كتابات الجاحظ ، وفي
بيتية الدهر لابي منصور الشمالي ، كما تشارت في
دواوين والى جانبهم وبه من الشعراء وفي مقدمتهم ابو
نواس .

وذلك الشعر الذي تناقله الرواة ودونته الاثا
وصانته من الضياع بؤوت اصحابه وانقضاء مناسباته
لم يجد الرواة ولا الكتاب شيئا من الحرج في روايته
وتدوينه ، لما فيه من تصوير الجوانب المتباينة للحياة
في المجتمعات الانسانية التي تزخر بالتناقضات ، وفيها
الخير والشر ، وفيها الحق ممزوجا بالباطل ، وفيها
الصالح والى جانبهم الفساد ، والادب كما لا يخفى
سجل للحياة .. وهذه الاوان مع ما قد يكون فيها
مما لا يحسد نل على البيئات المختلفة ، وعلى اتجاهات
الذين عاشوا فيها ، كما تعين الدارس على الفهم
المستوعب ، وعلى التعرف الصحيح على مختلف التيارات
الادبية التي تبلت في حقيقتها التيارات الانسانية ، كما
تمثل نزعات النفوس وخطرات القلوب سافرة من غير
حجاب .

ولذلك يقد الادب المعاصر باغفاله تدوين هذه
الاولان ودراستها كثيرا من الاسباب التي تعين على

ولم يتوقف ادب السخرية والمجون في عصر من
المصور ما دام الصراع بين البشر ، وما دامت حاجتهم
الى الاتس والتسرية ، وما داموا يحدون في هذا اللون
متعة للنفوس ، وتسرية عن القلوب ودفعاً للمواعج الاسى
والهموم .

وما تزال طائفة من كبار شعراء العربية وادباها
يتعاطون هذا الادب الساخر ويسلكون سبيل المزل
المثير للضحك والسخرية في نتائجهم التي جانب ما خلدوه
في دواوينهم من نتائجهم الجاد الرصين .

ومن اعلام المحدثين في هذا الاتجاه الذي تستوى
فيه الفنية اركانها من حيث اجادة العبارة ، والقدرة
على الابداع في الخيال ، وفي التصوير الساخر الذي
ينبى عن استواء ملكة الشعر ، كما ينبى عما طبع
عليه اصحابه من الفطنة وخفة الروح المرحوم
حتى ناصف ، وحافظ ابراهيم ، وعبد الحيد الديب ،
وغيرهم من الذين طواهم الثرى .

وبر كثير من الاحياء في هذا الاتجاه ، وان لم
يعرف عنهم عامة قراء الادب العربية هذا الاتجاه ،
لانهم يتحرجون عن اذاعتته في الناس ، وعن نشره في
الصحف والدواوين . وانما يعرفه عنهم خاصتهم حينما
يتناشون اشعارهم في سرهم وفي دنوائهم الخاصة
التي يدون فيها قدرتهم الفائقة على الانشاد . والارتجال
من غير اعداد او تحجير ، فتجد عبقريتهم ، وتطلق
شاعريتهم بكل ما يجب من غرائب المعاني ، التي
تسري عن النفوس ، وتشير الضحك ، وتدعو الى
التأمل .

ومنهم اعلام معروفون في حياتنا الادبية من
امثال محمود غنيم ، وحسن كامل المصري ، والعوضي
الوكيل ، واحمد خير ، وعامر بخري . ومن اشعر
المعاصرين في شعر التهكم والسخرية الشاعر العراقي
المعروف حازم سعيد صاحب ديوان « صوت من
الحياة » .

واكثر هؤلاء الشعراء من الذين لا يتشبهون
الخوض في اعراض الناس بقدر ما يغريهم المعنى الغريب
والصورة الفنية التي يتبارون في رسمها .

وما من شاعر من هؤلاء الا وقد نال من اصقائه ،
وسخر من خاصة محبيه . وقد يعجبك من العوضي
الوكيل ان يقول لك هجائي الصيري بابيت ، وهجونه
بابيات ! ثم ينشدك ما قيل في هجاء نفسه في
حجاسة لا تقل عن حجاسته في انشاده ما قاله في
السخرية من صديقه . وبالحجاسة نفسها تسبح ما ينشد
الصيري او محمود غنيم ما نال من الآخرين ، وما نال
منه الاخرون .

ويجد كل واحد من هؤلاء راحة ومتعة في الصورة
الجيدة والمعنى الغريب ، وان كان شخصه او فنه

المعرفة الصحيحة والرؤية الواضحة ، وتجلى الصور الفنية الرائعة التي تبدو في كثير من نماذجها ، مع ان الفن القصصي الذي ازهر في زماننا ، ونشط نشاطا ملحوظا لا يفت كثير منه عن المخازي ، وعن المبالغة في التهتك وكشف الاسرار ، واسترضاء نوازغ الشر ، واستشارة الغرائز الدنيا في الانسان ، ويبدو له سوقا نافقة في اذاعته ونشره وتبثيله .

وقديما وضع اليونانيون الشاعر الساخر المقذع « ارخيلوكوس » اشهر شاعر عندهم في ذلك الشعر المسمى « الايبامو » في منزلة شاعرهم الاكبر « هوميروس » حتى امتدحه « كونتليانس » بقوله : ان اسلوبه رصين رائع ، وعباراته قوية محكمة تفيض ثورة وحياة ، ولا يفوته احد في العبقرية والتبوغ .. واذا كان هنالك ما يفضل فيه غيره فليس الذنب ذنبه ، ولكنه ذنب الفن الذي نظم فيه .

القاهرة — الدكتور بدوي طيانه

أرب

السخرية

والمحبون

▶

في مساء يوم الثلاثاء الواقع في ١٤/٤/١٩٧٠ ،
تمت في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة الكويت —
اول مناقشة علنية ، لاول رسالة ماجستير في
الاداب تمنحها جامعة الكويت .

اما صاحبة الرسالة فكانت : السيدة عواطف
خليفة المعذبي الصباح المعيدة في قسم اللغة العربية
بالجامعة . واما الموضوع فقد دار حول « الشعر
الكويتي الحديث » : وقد تكونت لجنة المناقشة من
الاساتذة :

— الاستاذ الدكتور محمد خلف الله احيد ،
— الاستاذ عبد السلام هارون ،
— الاستاذ الدكتور محمد زكي المعشايوي ،
— الاستاذ الدكتور ابراهيم عبد الرحمن (المشرف
على الرسالة) .

ودامت المناقشة حوالي ثلاث ساعات ونصف
الساعة ، اوصت اللجنة اثرها بمنح (السيدة/
عواطف خليفة المعذبي الصباح) درجة الماجستير
في الاداب .

ولا شك ان لهذا الحدث الثقافي الهام دلالة
عريقة على ما خلطته الكويت في ركب التطور
الحضاري الممتد الى البحث العلمي الجاد والفكر
القوي البناء .

اول رسالة ماجستير
في الآداب

تمنحها جامعة الكويت

لرؤس عن
الشعر الكويتي
الحديث



أُطْلِقُ عَنْانِي

شعر: محمد الفايز

وتوقّفي بطولها وجراني
- غير الذي قد كان - في جثماني
عطشا يسبح على هجير لساني
جعلوا الحضيض مكان كل عنان
صبغت بأهة هائم غضبان
ماوى لاشباح من الشيطان
بفحيحها صخب من الطوفان
أن سوف تذهب نشوة النشوان
تُنْضَى القماقمُ عن وجوه الجان
من خوفها صُورُ بلا الوان
حاولتْ تكسرهما من الصوان
شفة بها اغماء الظمان
فيها تلاوين من الرحمان
غشيان سائبنة من السرطان
وأحيلها صخباً بكل مكان
وأمدّ رخو بنانها ببناني
للمّ جُباك قد انتهى إذعاني
فقدًا تكون القبر للسجان
في الصمت شيء من لظى فوراني

أُطْلِقُ عَنْانِي قَدْ كَرِهْتُ عَنْانِي
أُطْلِقُ عَنْانِي أَنْ قَلْبًا آخَرًا
عصروا شفاه حببتي ورموا بها
وتقيأوا اثلاء أحبابي كما
صُورِي مشوهة الرسوم لأنها
القدس يحرقها اليهود ومنزلي
تلك العروق الزرق صرن أفاعيل
وسيعلم المتسكعون ببابها
أن سوف تنطلق الكوا من مثلما
هولٌ يريع وجوههم فوجوههم
أُطْلِقُ عَنْانِي أَنْ مَدِينَتِي الَّتِي
حجر تقوِّس كاللسان تمده
الاخطبوط بداخلي وملاحني
أنساب فيك كما يدب بكاهل
سألم من هذي الشفاه قنوطها
وأثبت القدم التي زعزعتها
يا ليلُ يا عطشُ الصباح وشوقه
أن كنت مسجن شهوتي وتحفزي
عطشي غدير قوافلي • وتوغلي





ثقافة الطفل العربي

الثقافي ؟ أي الفئات أو الطوائف أو الرجال يستطيع ان يفعل ؟ اذا نحنا الوسائل المادية ، والاجهزة اللازمة للانتاج والتوزيع ، واذا نحنا مسائل الاشراف والتوجيه والتخطيط الضرورية لهذا المشروع . واذا ارجأنا الحديث عن السطور الذي لا بد ان تجتهد له الهيئات والحكومات جزءا كبيرا من جهودها

عن اتصالاته المتفاعة في مسـبيل المشاركة في ميادين الحضارة والتطور الانساني المنشود .

لكن السؤال الحائر الذي ما زال يتردد بلا جواب هو : من الذي يخطو الخطوة الايجابية الاولى في هذا الطريق ؟ من المسئول الاول عن توفير الانتاج الغزير المتواصل ، الكفيل بسد هذه الثغرة الكبيرة في واقعنا

ما زلنا ولا يزال المؤمنون بمستقبل هذه الامة العربية يؤكدون ان بداية الطريق الى دعم الكيان الثقافي لامتناء والخروج بها من وصمة الامية هي ان نثرى مكتبة النشء العربي ، لان الفراغ الكتيب في اركان هذه المكتبة ، يعني فراغا مخيفا في اركان العقلية العربية ، وواقعا الفكري لآباد من الزمن ، ويعني تمويلا للركب العربي

وامكانياتها للنهوض بهذه التبعة الثقافية الكبيرة ..

إذا أرجأنا الحديث عن كل هذا ، فانها نرجعه مؤتاً ، لنبحث عن دور البطل في هذه الرواية، نفقش عن المنتج الاول في هذا الصنع الكبير ..
اننا مؤمنون بانته لا بد ان يكون لدينا - كما لدى كل امة ناهضة - تبني اجيالها بناء سليماً - ان يكون لدينا مسرح الطفل ، وسينما الطفل ، والمعادب الطفل ، وهدية الطفل .

لكن لا بد ان يكون لنا قبل هذا كتاب الطفل ، لانه من ادب الطفل ، الذي يصنع التواء الاولى التي تسدور حولها كل الوان النشاط الطفولي الذي نريد ، فالمسرح والسينما ، والملاعب والحدائق ، وحتى المدارس .. انها هي - بدون ادب - جدران صابئة ، لا تطبع على نفس الطفل سوى الوحشة والكتابة والفحول ، ولا تترك له سوى حركة عشوائية كحركات صغار الحيوان .

ويبقى بعد ذلك ان نسال من جديد: من الذي يكتب لطفاننا هذا الادب ؟
اننا نلتقي دائماً - ونحن نبحت عن جواب - بأحد رجلين ، او بهما معا ، وهما : المعلم ، والاديب .

فالمعلم المؤهل لمهنته يدري - بما له من خبرة ، واحتكاك ، وممارسة لواقع الطفولة والصبا ، وبما له من استعداد بادي ومهني - يدري عن نفسية الاطفال ، ويدرك من عناصرها السيكولوجية والحيوية ما لا يدرك غيره ، ويعرف كيف يسد هذه الاحتياجات النفسية والعقلية في مراحل النمو المختلفة ، وكيف يستفيد بغائض الطائفة العقلية والعضلية في بناء الشخصية السوية للسبب المستقل ، وكيف يوجهها للبناء الذاتي، ويسو بنزعائها وغرائزها نحو حياة افضل .

والاديب - بما له من مواهب وخبرات على عمق واتساع البشرية كلها ، وبما اودع فيه من الحواس الزائدة التي يتمكن بها من لمس

الاعماق الانسانية ، وبما له من نظرة مستقبلية بناءة - يستطيع ان يكون اداة عاكسة للصور الخفية لجمال الحياة ، والنفاذ الى آفاق المستقبل، اي صنع حياة جديدة بما فيها من عناصر التفاؤل ، وايحاءات الخير والجمال ، انه يستطيع ان يصنع للطفل دنياه الخيرة الجميلة المتفائلة في غير ما تزييف ، وبدون ان يفرقه في تيار الخيال الجالبح الذي لا يمسحو منه الا على صدحات الواقع ، ذلك ما يستطيع ان يصنعه الاديب الامصيل للطفل .

ولكن .. قبل ان نلقي على كواهلها - المعلم والاديب - اعباء هذه المهمة الخطيرة ، لننظر معا الى الواقع الحقيقي لكل من المعلم العربي والاديب العربي ، لنستيقن الى اي حد قد تؤولهما ظروفهما والدواعي والوانع المحيطة بهما ، الى اي حد يستطيعان احتمال هذه التبعات ، والوصول بها الى نتائج ماثوبة .
ولنبداً بالمعلم العربي ، بفطرة اكثر عمقا في حياته وعمله ، وما لديه من استعداد ، وبما يحيط به من معوقات .

المعلم العربي - في المحيط العربي ، وفي حياثنا الراهنه بالذات - صاحب حرفة يزاولها من اجل العيش ، ولو قدر للاكثرية الساحقة من معلمينا ان يجدوا وسيلة ايسر او ارغد للعيش لما رضوا ان يكونوا كما هم الان ، فليس عندها - في رأيي - من اختار مهنة التعليم عن طواعية وشغف ورضا او ايثار لهذه المهنة على مثيلاتها لو كان له الاختيار بينها

وبين مثيلاتها من المهن .
ولسنا بصدد الاسباب التي تنفر المعلمين من مهنة التعليم ، او تجعلهم يزاولونها على كره منهم ، ولكن النظرة العسيرة التي واقع المعلمين العرب تجعلنا نتعرف على السر بلا غشاء كبير ، فنزلهم الدمية والادبية تجمي في اخر الصفوف مع امثالهم من المواطنين دأبها .

اليس من المفارقات اذن ان تسلم الامة العربية قيادة نشئها ومقدرات مستقبلها كله الى هذا المعلم ثم تعمله هذا الاهمال المتعمد الذي يشمره دائماً بانته مغبون ، مهضوم الحق والمنزلة الاجتماعية ؟

ان المرات التي يخفيها في اعقابها تجعله ناقماً - ولا اقول حاقداً - على الاوضاع الاجتماعية التي تجعل تلاميذه يسبقونه ، ويقفرون الى الصفوف الاولى بينما يظل هو في الطابور الذي لا يتحرك .

من اجل ذلك يزاول المعلم مهنته من اجل العيش وحده في الدرجة الاولى ، ولذا فهو في اثناء هذه المزاولة يبعد مشاعره وعواطفه ، وينتزع حاسته الفنية ، يخفيها جانباً ، كي لا تعوق فيه آلية العمل الذي يسعى في مداره لاهنا ، ومن خلفه منهج لا روح فيه ، وتفقيش جامد متزمت ، وروتين شكلي عتيق ، يحصره من انظاره الستة داخل قصص ، ولا يترك له حرية التفاعل مع الخالبة الاولى للبناء ، مع النشء الذي يعايشه .

ومنذ صارت عملية التعليم آلية محدودة بصيوع اللوائح والقوانين الجافة ، والميزانيات الكثرة الشحيحة ، منتقلة بالاعباء اليومية الآلية التي تستهلك الادوات بين العدد الهائل من الدروس والخصص الاضافية ، والعدد الكبير من الطلبة ، والانظمة التعليمية الكثيرة الغضارية ، والرياسات المركزية الكثيرة ، منذ ذلك الحين لم نسع ان المدرسة - في هذا الزحام الهائل ، والدورات السريعة ،

بقم:

رضوان إبراهيم

لكل بيئة ، ليداء البناء في هذا المجال من حيث انتهت الجذور الثقافية التي انتهت بها الطفولة الأولى في البيت ، وبيوتنا - للأسف - خاوية من كل القيم التي يمكن أن تفرسها البيوت في الدول المتقدمة في حقل الطفولة المبكرة ، وفي البيئة العربية عموماً فراغ كبير بين الطفل ومجتمعه وفراغ أكبر بين المدرسة والمنزل ، مما يؤثر التفور بين الطرفين ، ويخلق جواً من الحرب الباردة بين الطرفين ، ويجعل كلا منهما يدمر ما بينه الآخر ، ويجعل كلا منهما يلتقي تبعاً أخفاق الطفل أو انحرافه على الطرف الآخر.

والكتاب الذي يندمى للكتابة للأطفال عليه أن يصهر كل هذه المتناقضات ، ويصنع منها مركباً جديداً فيه خصائص الدواء الشافي لكل هذه العلل والأدواء . فإين نجد هذا الاديب المعجزة ؟

ابن الاديب القداني المولى بتسلق الصخور الوردية رحلة مخيفة لا يدرى أيمود منها وفيه ريق من حياة واي ادب ذلك الذي يترك الشهرة على الأرض المبهدة بين جمهور العشلاء الناضجين ، ليغرق نفسه ، ويذبح حياته في بناء اساس لا يدرى ماذا يستفد من جهده ومصره ، ولا يدرى ، بعد ، متى تظهر معاملة على سطح الحياة .

صحيح ان في ذلك كثيرا من الجهد والمشقة ، ولكن لا بد من بعض التضحيات ، ومهما تكن هذه الجهود وتلك التضحيات فلسنا مع المتعالمين ولا مع الساخلطين ولا مع المتشائين .. لسنا مع الغائلين بان عصر الشوع التي تحرق تد ولى ، وخلفه عصر الصراع على السبق من ايسر الطرق ، ولنا مع الذين يدعون ان امتنا تائرة للجميل ، وانهم لسوا كانوا في امة تعرف قدر الادباء لتحولوا بعد طول المراس والخبرة والشهرة الى كتاب للأطفال .

هذه حقيقة ..

النثر الشهى عند ارض حرمت من الري والدفء والتعمد .

والا الاديب .. فمنذ أصبح التعليم وظيفة ، بوعد بينه وبين الاتصال بواقع التعليم الرسمي ، ونسيته الدوائر التعليمية تماماً عند رسم الخطط ، ووضع المناهج الفنية والادبية .

لم تكن وزارات التربية في معظم البلاد العربية بان تستعين بالادباء ولو خبراء او مستشارين لسد احتياجات البرامج الادبية التي يدرسها الطلاب في مختلف المراحل الدراسية ، حتى لا تاتي ممسوخة ، او خاضعة للاهواء الفردية ، او موضوعة كيفما اتفق ، بمنفذ كييفاً اتفق ، لان ذلك البداية الخاطئة لفساد الذوق الادبي عند الناشئين .

من هذا ظل ادبنا - الى الان النادر - يعمدين عن واقع الطفولة ، بحكم احتكارها لدى المعلمين والمتقنين ولجان المناهج ولجان الكتب ولجان الاختصاصات ولجان المسابقات ، ويتلقف الزمام فرد من فرد ، ولجنة من لجنة .

وهكذا .. هذا من وجه ، والوجه الآخر ان ادبنا يمارسون السهل المنطلق ، ولا يميلون الى المغامرة او التهور في المشتقات ، والسهل ان يكتبوا للكبار الذين يفهمون عنهم في سر ، والذين يستجيبون لهم استجابة سريعة ، ومهما الشهرة والمجد بايسر الجهود .

والصعب هو الكتابة للأطفال ، التي تحتاج منهم جهوداً خاصة ، ودربة طويلة ، ومتاعب جمة ، تحتاج منهم الى دراسات طويلة لنفسية الاطفال ، ومقاييس ذكائهم ، والفروق الفردية بينهم ، وما يصلح لكل عروبية وعصر والملاءمة بين البيئات والنشأة والأوضاع الاجتماعية ، وعوامل التصحيح والتوازن بينها وبين المثل العليا للمواطن العربي الحديث ، واي انواع الغذاء العقلي والعاطفي التي تحدث هذا التوازن ، وقبل ذلك لابد من البحث عن الجذور الثقافية الأولى



والضجيج العالي - لم نسمع انها خرجت فنناً ، او ريت ادبياً ، او وجدت لديها الاهتمام او الاكبات لكي تحتضن موهبة ، بل اشرت في دوراتها المرحلة ركاباً من الإسطحيه والادعاء والغرور .

سبب هذا ان المناهج والخطط والكتب تسير في واد ، والنشاط الفني والادبي التلقائي للنشء يسير في اتجاه آخر ، ذلك لان هذه المقررات مبروكة لحفنة من ذوي النزعات القليلة الراكدة ، والثقافة القشرية الرجعية ، يزاولونها على انها عمل روتيني ، كل مؤهلاتهم السن والمنصب والدرجة المالية للوظيفة التي تضرب نطقاً حول هذه المقررات ، فلا تفتح لها نواصذ التجديد ، ولا تسبح للنسبات الندية المنعشة ان تتخلل نسيجها القفس ، وتظل الخطط والمناهج الرجعية حامية للجمود ، وإبقاء على الشكلية الآلية ، ويظل المعلم - وهو الوسيط الأول والاخر - حائراً بين كل هذه المفارقات لا يستطيع ان يلائم بينها وبين النشء الذي خير ابعاده ، وقاس مدى استجاباته ، وهو لا يملك شيئاً ، ما دام بعداً - بحكم منصبه المتواضع ودرجته وهي أكثر تواضعاً - عن ان يكون له صوت في هذا الضجيج .

هكذا نطلب المعاء عند المحدين ، ويظل مستقبل ابنائنا ومستقبل ادبهم وثقافتهم مضيقاً بين قادر حيل بينه وبين المسؤولية ، وسقط لا يعرف ماذا يبيع ، ولن يبيع بضاعته الكاسدة المفروضة بالقرس على المستهلكين . وهكذا سنظل ابدًا طويلاً نطلب

لسد الفراغ الحالي ، وتعديل الانحرافات القائمة ، ولا بد ان تؤخذ مأخذ الجد ، وان تنتفع بكل الكفايات الموجودة حاليا بعد سفلها وتوجيهها الى الهدف الاساسي ،
وقد يكون من الاصلح وضع خطة متكاملة العناصر على امتداد خمس سنوات ، تقسم الى مشروعات ذات اولويات معينة .

لقد اسفان لعلماء النفس ورواد التربية ان في الاطفال استعدادا مبكرا لتلقي الادب والانفعال به ، ومحاولة محادثته ، وان طريهم تزيينات الام ، وارتياحهم لحكايات الجدة ، وعلمهم الى التماس عند سماع اناصيص المساء ، ان هي الا استجابات غريزية على القابلية التي تزداد عمقا وانساعا تلك ابتداء سنوات العمر اذا احسنت تهيئتها .

وهذه الحاجة النفسية عندهم لابد ان تتبع بطريقة ايجابية ، لكي يتشأ الطفل سوي الشخصية ، وعلمنا — لكي نفع حجرة في هذا البناء — ان نستغل هذه الحاجة في نفس الناشئ ، فنشبعها بالنافع المفيد من الفنون والاداب ، مسترشدين في ذلك بالتجارب التربوية ، وعلم نفس الطفولة والصبا .

ومن هذا لزم ان يكون تاليفنا او اختيارنا لادب الاطفال وفق مقاييس خاصة ، نابعة من نفوسهم وواقعهم واحتياجاتهم ، لا بما نستحسن او نستهجن نحن الكبار ، بل بناء على دراسات تجريبية تربوية ، ومعرفة عيقة باحتاجات الاطفال من جهة ، واللوان الادب التي يمكن ان تهتجز بتجاربهم والمصير والموار نموهم ، وتستند نشاطهم الثلاثي بأسلوب ملائم ، من جهة أخرى .

وعلمنا ان نتسلل من خلال هذا العمل الى نفوس الاطفال ومشاعرهم ومداركهم بتهيئ الحضر ، حتى لا نشرب بعنف ، او نهيج فيها ناحية على حساب أخرى ، او نفرس في قلوبهم المخاوف والاوهام ، او نهز

اولا ان نكون مؤمنين بالدور الايجابي لرجل المستقبل ، وان عليه تبعات لا بد له منذ الان ان يعيها ، ولا بد له في الغد ان يقوم بها ، لا نهون من شأنه او من شأنها ، ولا ندعي اننا قننا بكل شيء ، ولم نترك لتاسان الغد ما يعمله ، فذلك الانانية والمكابر والغرور .

والخطوة التنفيذية الاولى المترتبة على الايمان برجل الغد ان نفتتح لطلاب التخصص في ادب الاطفال لطلاب جامعاتنا ومعاهدنا ومراكز البحوث والدراسات العليا والبعثات الخارجية ، وان نختر لهذا التخصص ذوي الاستعداد الادبي الناضج ، وذوي الجلد والصبر على المعاناة والصبر على الممارسة ، والاقتراب من واقع الاطفال والكشف عما وراء واقعهم من عقد ومناجات .

فاذا اطمأنا الى اختيار هذه المجموعة تحت اختبارات وتجارب علمية ونفسية ، كان علينا ان نهني البرامج والمواد الدراسية التي تتجسج بين علوم الادب ، والعلوم الانسانية ، والفن والفن للفن ، وعلم الطفل ، ونشأوا التربية الى جانب التجارب العملية والميدانية ، والتدريب على العمل والانتاج اثناء الدراسة ، والارتباط باجهزة الانتاج للطفل والاشراط على تربية الطفل وتعليمه ، على ان يكون في صلب البرامج الدراسية زيارات موسمية للبلاد التي سبقت في التجربة في الشرق والغرب ، للاطلاع على ما لديها من مناهج ووسائل ، على ان يتلو مرحلة الدراسة بعثات طويلة ومتوسطة للتنعم في التخصص .

بهذا تكون قد مهدنا السبيل لاسام جيل من الادباء المربين الموهوبين في اضطلاعهم بالمسؤولية وقد هيأنا لهم وسائل النجاح في المهمة الخطيرة المتعلقة بمستقبل الوطن والبشر . على انه لا بد لنا في الوقت الراهن — وحتى يتم مشروع التخصص السابق الاشارة اليه — لا بد لنا من خطط وبرامج تصمير ولكن متتابعة

وهناك حقيقة أخرى ، ان معظم البارزين من ادبائنا اليوم كانت الهواية او الموهبة وحدها هي سبيلهم الى الظهور واللمعان في عالم الادب وتعليل منهم تفنوا ثقافة واسعة تؤهلهم للمشاركة في بناء الحياة المثالية للمجتمع العربي المنشود ، عن طريق بناء الجيل الطالع ، واقل من القليل من ثق ثقافة نفسية تربوية تؤهله ليشارك في وضع الاسس الفلسفية والخطط والمناهج لادب الطفل وثقافة الطفل ، ثم يكون مع ذلك ادبيا اصيلا يستطيع ان يشارك في الكتابة للطفل من خلال الفلسفة والمناهج التي خطتها ، فهل نطلب في ذلك المستحيل؟ الحق اننا نكون قد رجعنا من رحلة البحث عن البطل بلا شيء ، فلا المعلم بواقعه الذي اوضحناه يستطيع ، ولا الاديب باحجابه عن الميدان يقدر ، ويوشك ان يبقى ايدان خاليًا ، ويبتى الملايين من اطفالنا الذين سنسلمهم بما ترسب مقاليد الوطن ومصير بناء الدولة العصرية ، ينتظرون من يفتح لهم باب الحياة ، ويهبهم قوة انطلاق .

لسنا بذلك نطلب المعجزات ، لا . . . ولن نقلل من شان الجهود المبذولة ، والنماذج الرائدة التي نجدها بين الحين والحين ، والتي تؤكد امكانية الوصول الى الهدف لو وُجدت القوى ، واستكمل التخطيط لثقافة الطفل عناصره ، وحتى تتكامل كل العناصر سنظل ندور في الحلقات المتداخلة من التجربة الذاتية والخطأ ، وقد يطول بنا الطريق بيننا وبين تجارب الامم التي سبقتنا على الطريق ، وقد يجعلنا الوقت فننقل ما لا يلائم ظروفنا ، وقد تلجأ الى التراث ، وهو يحتاج الى معهودات اكثر من غريزة للحفاظ على روح التراث مع تقريبه التقريب الكافي الى وعي اطفالنا .

لكن المؤمنين بحاضر طفلنا ومستقبل اوطاننا متعززون بان لا بد من عمل جديد واصيل ومخلص ، ولكي يكون هذا العمل قائما على اساس ما لا بد



حياتهم هزات غير ملانة بما نؤلف أو نختار لهم وفق اهوائنا أو فريادتنا . وكل خطوة من هذه الخطوات في حاجة الى دراسات مستوعبة عميقة ومتخصصة ، تسير في خطين متوازيين : احدهما الادب ، وثانيهما التربية وعلم نفس الطفل .

هذا هو الذي يجعلنا نتق في اختيار كاتب الاطفال ، وان نطلب فيه ما لا نطلب في غيره من الكتاب ، فنحن في هذا السدد بحاجة الى ادب موهوب ، مطلع اطلاعا مستوعبا على الانتاج الادبي من مختلف عصور التاريخ الادبي للامة العربية ، متصل الاسباب بالاداب الاجنبية ، متخصص الى الحد الممكن في التربية وعلم نفس الطفل ، والخبرة بالناشئة وراحل حياتهم واحتياجات كل مرحلة من الغذاء العقلي والعاطفي المناسب ، وعناصر الاتفاق والاختلاف بين البيئات العربية المختلفة .

وعلى الحكومات والمؤسسات والافراد في مختلف بلدان الوطن العربي ، عليها اذا شاعت ان تزرع في حقل الامة العربية جيلا مبرا من عقد النقص والجهالة والادعاء .. جيلا بناء يزرع المستقبل بالقوة الذاتية ، والعمل من اجل الخير والجمال والحرية والعدالة والسلام ، عليها ان تبدأ من الاساس ، وان تنبني مشروع المؤسسة الثقافية للطفل العربي ، وان تحشد له الدارسين والاساتذة ، والمؤلفين والصوירים والمنتجين والمباشرين في حقل الطفولة ، لتدرس ، وتجرب ،

وتؤلف ، وتخرج ، وتنتشر ، وتعرض ، وتنتقل كل عمل مثير ، وكل جهد خلقي ينتجه الافراد بوسائلهم الخاصة وذلك لكي ينبثق عن هذه المؤسسة كتاب الطفل ، ومسرحة الطفل ، وسينما الطفل ، واذاعة الطفل ، واغاني الطفل ، وملعب الطفل ، حتى لا يتجرع اطفالنا على الرغم منهم ما تجرعناه في طفولتنا ، وما زلنا نعانى من قسوته مرارة وانفصاما وانقسامات في المجتمع .

وقد يكون مما ييسر سبل النجاح والاستمرار والكمال لهذه المؤسسة ان تكون عربية على النطاق الواسع للامة العربية ، تتعاون على بنائها وتوئيلها والتخطيط لها وابداعها بالخبرة ووسائل التنفيذ والتوجيه

والاشراف والتنسيق بين الانتاج والتوزيع في بلدان الامة العربية ، توجهها مجموعة من الخبراء والمختصين المسؤولين عن مصائر الجيل العربي الطالع ، حتى ينشأ في ظل هذه المؤسسة جيل عربي موحد الامل والاهداف والوسائل ، مؤمن بامته العربية العريقة الاجداد ، مؤمن بمستقبل وطنه العربي ، وحقه في الحرية والاستقلال والوحدة ، والمشاركة في تقدم المجتمع البشري . وقد يكون ذلك من بين التبعات التي لا بد ان تنهض بها جامعة الدول العربية باجتهادها المتخصصة ، ومقدراتها التي تمكنها من حشد الخبرات العربية لهذا الواجب الملح .

رضوان ابراهيم



في الدين والتدين

التي فضيلة الاساتذ الشيخ احمد حسن الباتوري محاضرة عن (الدين والتدين) في قاعة جامعة الكويت . حضرها عدد كبير من المستمعين .

وقد تحدث فيها عن الدين وعن التدين حديثا مسهباً مستفيضاً . والشيخ الباتوري من خيرة المحدثين في هذا الموضوع وفي مختلف المواضيع الاخرى التي ينطرق اليها .

واقب المحاضرة بعض الاسئلة المتعلقة بهذا الموضوع اجاب عليها اجابات صريحة واضحة كعادته .

ذكرتك اليوم



ذكرتك اليوم .. لا عيش ولا وطر
يطيب (عدنان) لي كلا ولا سم
ذكرت اذ شذنا حباً لامتنا
وغيب الخلل عن خلل له قدر
فما تبلج في عمري رفيف ضحى
ولا تقتشع في واجاتسه زهر
وما تبسم ثغر (الغولتين) وقد
بحثت عنك فادما قلبي الاثر
(و ربهو الشام) تسال موج على
شلالها بسؤال عنك تبندر
اين الوفي واين الاوفياء لقد
عزوا كما عز في ظلماتنا قمر
فتارة الغربة ما قلنا تصادني
فقد تقطع من اوتارها الوتر
ذكرتك اليوم ، قم واشهد لامتنا
فجرا بعاصفة (الفتح) ياتر
هذا هواء فلا ترب لوحدتنا
غير الفداء بنه من قياتنا عبروا
لطلع الشمس ان الشمس ينسجها
جبل الفداء يندى همامه الظفر
يا فاديا لهواه كل ما وهبت
له الحياة وما يستهدف القدر
لا تخدعك حياة كنت كارها
فكل ما حوت الدنيا بها صور

بغداد - عبد الهادي الفيكي



"عن عددي: أيار
وحزيران ١٩٦٣
من مجلة "العلوم"
البنائية"

لغز استعصى على الحل في حياة المتنبى

-٢-

العربية في اوائل القرن الرابع (عندما كان شاعرنا يتلقى دروسه صبيًا في المكتب) كان يختلف كل الاختلاف عما ال اليه هذا الوضع بعد ربع قرن . فمذ عاش العلويون وكل همهم ان ينتزعوا زمام السلطة من ايدي الغاصبين .. وكان يتركز كل سخطهم — في مستهل القرن — على من يمثل هؤلاء من العباسيين . اما بعد ربع قرن من الزمان (في هذه الفترة التي هي موضوع حديثنا بالذات) فقد تفرقت شمل البلاد من ادناها الى اقصاها ، وتفرقت نظمها بددا . فالبويعبيون يفرقونهم في الشرق ، وينو لحيان يحاولون عينا جمسح الكلبة في الشمال ، والاششيديون يستقلون بالملك في الغرب ، والقرامطة يعمثون فسادا في الجنوب .

فلا غرو اذا خبت تلك الجذور التي كان العلويون

على ان العلويين * — وقد طال حديثنا عنهم — لا يجوز اطلاقا ان يكونوا كلهم على خطه مدبرة ، ولا كانوا جميعا موالين لهذا البيت وحده ، فان ابناءهم — كثيرهم من بني عويمتهم — كانت تجميعهم السلالة في جدهم الاعلى امير المؤمنين علي عليه السلام . وقد كان نسبهم يتفرع من غصون عدة تبسدا في الجذع ببني الحسن بن علي وبني الحسين بن علي .. وحتى بني العباس بن علي . وكلها نزلوا بالابناء جيلا زاد الفرع تفرعا . وهم اولاء الذين كان يفتح ذلك العصر بثورات القائلين منهم ايدانا بالحق ، ويرن برزايا المروعين منهم ضحايا في سبيله ، وكلهم في التاريخ من الدعاة العلويين (٨) .

ويجب الا ننسى ان الوضع السياسي في البلاد

عليه للوقت خلعا نفيسة .
قال عبد العزيز : حدثني ابو علي بن القاسم
الكاتب قال :

كنت حاضرا هذا المجلس ، وهو كما حدثك محمد
الصوفي . ثم قال لي ، اعلم ، اني ما رايت ولا سمعت في
خير ان شاعرا جلس المدوح بين يديه مستمعا لمحده
غير ابي الطيب . فاني رايت طاهرا تلقاه واجلسه
مجلسه ، وجلس بين يديه .

●●●

والان .. ماذا اتشد ابو الطيب طاهرا هذا ؟ اذا
شئت فاسمع :

اتاني وعيد « الادعياء » وانهم
اعدوا لي السودان في « كفر عاقب »
ولو صدقوا في جدهم .. لحزرتهم
وهل في وحدي قولهم غير كائب ؟

الادعياء .. الذين يدعون الشرف ، ينسبهم الى
علي عليه السلام .

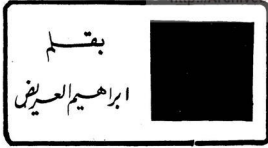
ثم يصدر صاحبنا حكمة في « العلويين » اطلاقا :

اذا لم تكن نفس النسيب كاصله

فماذا الذي تفني كرام المناصب ؟

وما قويت اشباه قوم اباعد

ولا بعنت اشياء قوم اقارب
اي لا تقرب الاوصار بين اشباه قوم (هم في الطبايع)
اباعد . كما تقرب الطبايع بين اشباه قوم (هم في النسبة)



اباعد .

اذا « علوى » لم يكن مثل طاهر

فما هو الا حجة للتواصب

التواصب الذين يبغيضون امير المؤمنين .

فقد جعلهم — كما ترى — على قدم المساواة مع
غيرهم ، ان لم ترغمهم الفاعل نفسها .

وهذا الاهتمام بقضية العلويين ، والقول الجارح
فيها هم فيه يفتكلون لا يمكن ان يكون من انسان لا قدر
له عندهم ، ولا ممن جاء يتطفل على موائدهم . ولا تنس
ان ابا الطيب يقف هذا الموقف بعد مخي اكثر من عشر

يشحذون بها الهمم ، وخدعت تلك الريح التي كانوا
يعتقدون عليها الامال . وقد وقتوا من زمانهم على مفترق
الطرق حائرين .

ابا ما بدا ينتص الدولة من اطرافها وينذر جامعتها
بالويل ، عن دسائس الفاطميين الذين بدا سيلهم يطبي
برشاشه من الميمنة ، وغارات الروم الذين اخذ طوفانهم
يقصف باذية من الميسرة ، على قلب العالم الاسلامي
الواهن ، فلم يستفحل خطبه على الناس الا بعد مخي
ربع قرن اخر من الزمان .

وهذا الوضع الذي لم يسبق للعلويين عهد به من
قبل ما كان له الا ان يحدث في صفوفهم خورا وخلفا ، لا
يرون لهم فيه من ورنطهم مخرجا . فظل منهم من ظل
على نهجه الثائر ، واختار آخرون الوقوف بجانب الخلفاء
في بنداد تحاشيا لما هو اطم ، وعقد بعضهم ابالسه
بالفاطميين ، وبقي بين هؤلاء واولئك من انكر الفتنة ،
فأحب ان يعيش بعيدا عنها .. بالمسالة والحياد .
ومن هؤلاء الاتراف الطاهر بن الحسن العلوي
الذي كان نازلا بالرملة .

●●●

كان الطاهر هذا — وهو الحسني — واقفا على
جلية امر شاعرنا .. مقدرا لموقفه . وان تأملا يسيرا في
رواية محمد بن القاسم المعروف بالصوفي الذي يحدثني
كيف تلقى هذا الحسني الشاعر ، وتصبح الى مخيحه
فيه ، جالسا بين يدي الشاعر ، ليبلغي في امر التنبئ
بالحجة القاطعة .

حدث ابو عمر عبد العزيز بن الحسن السلي ،
قال :

سالت محمد بن القاسم المعروف بالصوفي : كيف
كان سبب امتداح ابي الطيب لابي القاسم طاهر بن الحسن
ابن طاهر العلوي ؟ فحدثني : ان الامر ابا محمد (ابن طنج)
لم يزل يسأل ابا الطيب في كل ليلة من شهر رمضان ،
اذا اجتمعنا عنده للافطار ، ان يخص ابا القاسم بقصيدة
من شعره يدحه فيها . وذكر انه اشتهى ذلك . ولم
يزل ابو الطيب ينتعز ويقول : ما قصدت غير الامر ، وما
امتدح احدا سواه . فقال له ابو محمد : قد كتبت عزمت
ان اسالك في قصيدة اخرى تمعلها ، فاجعلها في ابي
القاسم طاهر . وضمن له عنه مئات دنائير .
فاجابه الى ذلك .

فقال محمد بن القاسم الصوفي : فمضيت انسا
والطبي برسالة طاهر لوعد ابي الطيب . فركب محبا
ابو الطيب حتى دخلنا عليه ، وعنده جماعة من اهل بيته
اشراف وكتاب . فلما اتبل ابو الطيب نزل ابو القاسم
طاهر عن سريره ، وتلقاه بعيدا عن مكانه مسلما عليه ،
ثم اخذ يده فاجلسه في المرتبة التي كان فيها قاعدا ،
وجلس بين يديه . فتحدث معه طويلا ، ثم انشده وخلق

وبهم فخر كل من نطق الفساد ،
وعوذ الجاني ، وغوث الطريد
ويقول ثانية .. في مصر اثناء اصابته بالحمى :
أرى الاجداد تغلبها كثيرا
على الاولاد ، اخلاق اللثام
ولست بقاتع من كل فضل
بان ادعى الى جدد همام
ويقول ثالثة دراجان بين يدي ابن العميد :
اذا الشرفاء البيض بمقا بقوة
اتى نسب اعلى من الاب والجد
وهكذا الى اخر حياته ..
وتلاحظ انه يكرر هنا — ولا يقول الا — ما قاله اتفا
في مجلس طاهر بن الحسن العلوي .

●●●

بقي امر تسميته بالمتنبى ..
.. هذا الاسم الذي اصبح علما عليه ، حتى في
حياته ..

وانما نشأت التسمية هذه على اثر تشويه غرض
الثورة تلك التي قام بها في سبيل — وبدافع من — علويته
وتلبس امرها من قبل « المخرضين » . ولذلك تجدها
— في الروايات — مقرونة بها ومتحمة عليها احكاما (١٠) .
وقد وردت في الصباح المتنبى (عن بعض مصاصره
المقودة الان) عبارة غامضة بنص صغير ، مر بها اكثر
الادباء غافلين ، وهي تحمل في طواياها — لمن يعمق فيها —
دلالة كما مفاها حول ما نحن بصدده .
وهذه هي العبارة :

قال له بعض الاكابر ، وهو في مدينة السلام :

اخبرني من اقربيه انك قلت : انا نبي ؟

فقال : الذي قلته ... انا احمد النبي ..

وليس لجواب المتنبى .. تبريرا لتلك الدعوة التي
قام بها ثائرا .. ثم تحولت بعد الى التهمة هذه .. من
معنى يفهم ، الا على اساس ما كانوا يروون في عهده من
احاديث حول المهدي المنتظر .. الذي ياتي قبيل الارض
عدلا كما ملكت جورا .

فالمتنبى هنا يدفع اراجيف التهمة الموجهة اليه
بقوله : الذي قلته « انا احمد النبي » (على الاضافة)
اي انا احمد (الذي وردت الاشارة اليه في حديث)
النبي (١١) .

وتلحق التهمة بشاعرنا ، فلا يسهه الا ان يردد :

ان الكذاب الذي اكاد به

اهون عندي من الذي نقله

فلا جبال ، ولا مداج ، ولا وان ، ولا عاجز ، ولا تكلمه

وطالما شوغب بها هو حتى في مجلس سيف الدولة .

قال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة :

سنوات على دعوته العلوية ، ويجار بها — ثانيا —
جالسا في دست من ؟ .. احد الاشراف العلويين !!
فهل خطر لاولئك الرواة قط — عندما لبسوا علينا
في امر نسب — ان يبينوا لنا كيف جاز له ان يفعل هذا
لولا انه كان ..

ولم يدح المتنبى — بعد ثورته العلوية — سواء
من العلويين احدا .. الا ما كان من امره — مع رفيق
صباه — محمد بن عبيد الله المعروف بالمشطب — وكان
من اترابه ، فقد درسا معا في كتاب الاشراف . وكان
يتعهد اسرة الشاعر في الكوفة ويرعاه .

فانتشده الفصيذة التي يقول فيها :

يا ليت بي ضربة ، اتبع لها

كما اتبعت له — محبها

اثر فيها وفي الحديد ، وما اثر ... في وجهه .. يهندها
كان بذلك لقب المشطب ، ويذكر فيها اياديه .

له اياد الى سابقة

اعد منها .. ولا اعددها

اعد منها اي اعد اتلنها « على البناء للجوهول » .
انتشدها اول رحلته الى بغداد عام ٣١٨ .. في طريقه الى
الشام . وكان ذلك — كما ترى — قبل ثورته بسنتين .

●●●

لم يبق للمتنبى بعد هذا ، اذا سئل عن نسبه ، الا
التكتم . وماذا يستطيع ان يقول — والحال ما رايت —
غير قوله :

واذا خفيت على القبي ، فمناظر
الا تراني مقلبة عبياء

وقوله :

ابو .. فيسجد من بالسوء يذكرني

فلا اعاتبه صفحا واهوانا

وهكذا كنت في اهلي وفي وطني

ان النفيس غريب ، حيثما كانا

انا ابن من بعضه يفوق ابا ابا

حث ، والنجل بعض من نجله

وانما يذكر الجدود لهم

من نفوره ، وانفدوا حيله

انا الذي بين الاله به « الاقدار » ،

والمرء حيثما جعله

جوهرة .. تفرح الشراف بها

وغصة .. لا تسفيها السفلة

وقد تردد في شعره كثيرا ذكر الجدود ، فهو يقول
مرة .. بارض « نخلة » (٩) قرب دمشق ، متعابها لثورته:

لا بقومي شرفت ، بل شرفوا بي

وبجدي علوت ، لا بجوددي

لتعلم مصر ، ومن بالعراق ،
ومن بالعواصم ، انسي « الفتى »
وانسي وفيت ، وانسي ابيت ،
واني عتوت على من عتانا
الوفاء هنا — كما يظهر لي ، ويفهم من السياق
— هنا كان قطعته على نفسه من التكم في امر نسبه ،
ولذلك يعقب :
وما كل من قال قولا ، وفي

وما كل من سيم خسفا ، ايسى
يشير بها الى ما لقيه في مجلس سيف الدولة .
ومن يك قلب ، كقلبي ، له

يشق الى العز قلب النوى
يعني بذلك اتحابه الممالك عاندا من مصر :

ولا بد للقلب من آله ، وراى ، يصدع صم الصفا
افلا يذكرك هذا بقوله ، قبل عشرين عاما . .

وما الجع بين الماء والتار في يدي
باصعب من ان اجمع الجد — والفهما

رائيا جدته ، فقد كان في الصالحين يستعرض تجربة
مرت به ، ومحاولة فشل فيها ؟
واخيرا :

وكل طريق اتناه « الفتى »
على قدر الرجل فيه الخطا

هذا البيت الذي ذكروا انه ضرب فيه مثلا مبتذلا .
فهو يلخص لك — لو اعدت النظر في سيرته ، على
ضوء ما بيناه لك — رايه في حياته تلك كلها .

رحم الله ابا الطيب ، فما كان امده حين انشد
سيف الدولة في ظروف مأساته :

سيعلم الجع من ضم مجلسنا
ببني خير من تسمى به قدم

لولا ان الاخر جاهل . . لما رضى ان يدعي بالمتنبي ،
لان « متنبى » معناه كاذب ومن رضى ان يدعى بالكذب
فهو جاهل .

فقال له : انا لست ارضى ان ادعى بهذا ، وانما
يدعونى به من يريد الفض مني . ولست اقدر على
الامتناع .

ويقول الاستاذ عزام في « فكره » معتبا :
فلو ان الامر كان معروفا ما استطاع ابو الطيب
المكابرة فيه .

ويرى زهاء قرن على القضية . ويسأل عنها
المعري فيرد في رسالته الشهيرة — رسالة الغفران —
قائلا :

... وحدثت انه كان اذا سئل عن حقيقة هذا
اللقب ، قال : هو من النبوة ، اي المرتفع من الارض .
ثم يستمر قائلا :

وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه .
وانما هي مقادير ، يديرها في العلو مدير ، يظفر بها من
وفق ، ولا يراع بالجهد ان يخفق . . والمعري هنا — كما
ترى — يجمجم ، ولا يصرح ، بالجواب . . ولكنه اكيدا
لا يقصد ادعاء النبوة .

ذلك هو ابو الطيب المتنبي في بافخ نسبه . . احمد
ابن . . محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن
موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحصين بن علي
ابن ابي طالب .

نسب . . كان عليه من شمس الضحى نورا ، ومن
فلق الصباح عمودا . فان تدعو الناس لابائهم اقتسط
عند الله .

وقد لخص لنا الشاعر حياته في المقصورة التي
انشدها لنفسه بعد مفارقتها كافور :

فهد العسكر « حياته وشعره »

كتاب بصرة

تربيا في الكويت :

عبد الله زكريا الانصاري



المقف

شعر: خالد الحلي

ما الذي انشد .. ماذا ساقول
أي صوت قادر يحل اشواقك اليك
أي نعمة .. ؟
ما الذي اكتب .. ماذا اكتب
تعب الحرف وأني متعب
اتمنى لو يكون القلب نسمة
تخرق الافاق .. تاتيكم .. تقبل وجنتيك
تبصر الاحلام في عينيك ...
احلام الصفاء
تبصر الذكرى وايام اللقاء
ثم تضيئ نحو اعمالك .. ارجوك انشقيها
واهمني : اعذب نسمة
قبلها يا حبيبة ..
واعشقيها
انت يا من قد سرقت الحب مني
وسرقت الحب مني
خلها تسرق بسمة
من ملايين ابتساماتك كي انا فيها
فأقد تنهني دربك عنك
في زواياه الغريبة

●●●

آه .. يا حلوة آه
اتمنى أن يكون القلب نسمة
تغير الافاق تاتيكم .. وتعتبك الحروف
ايضا كنت ورحت
غير أنني مدرك بؤس التمني
مدرك أنت التمني
أنت يا حلوة ما أروجه أنت
كل ما أروجه ...
أنت !

بغداد — خالد الحلي

انا الذي نظر الاعمي (١١) الى ادبي
واسمعت كتابتي من به صم (١٢)
البحرين : ابراهيم العريض

✽

- راجع الممد الماضي .
- (٧) نابل اشارته في المراتبة الى هذه الثورة :
طلبت لها حلا ، فغابت ، وغابني
وقد رفيت بي ، لو رفيت بها ، قسا
فاصبحت استسقي الفمام لغيرها
وقد كنت استسقي الولى واللقا الصبا
كان يستسقي الولى (على حد قوله) قبل زجه في المعتقل ،
نم يطلق سراجه الا بعد اخذ الشهادة عليه بنى الطوبة منه .
- (٨) راجع مقال الطالبين لابي الفرج الانصاهي (صاحب الاغاني)
وكان معاصرا للشاعر .
- (٩) في هذه القصيدة يرد قوله الشعر :
ما مقصبي بارض « نطفة » الا
كتسام المسيح بين اليهود
انا في امة . بداركها الله .. غريب ، كصالح في ثمود
والثكيد منه هنا انما هو على معنى الغربة ، وان اقرنت
هذه الايات عند بعضهم بمعنى اعماله النبوة ، ففسرنا لما زعم
الراودون .
- (١٠) نستطيع ان نستلطي فرضه من تلك الثورة في قوله الى « ابي
عبدالله معاذ » وكان نازلا عنده بالاثنية :
ابا حيد الله معاذ ! اني
خفي عنك في اليجبا مقصبي
ذكرت جسيم مما طلي ، واتا
نفاخر فيه بالهوج الجسام
امتي ناضد التكيمات بنه
ويجزع من ملاصاة الفمام ؟
ولو برز الزمان الى شخص
لخشب شعر بفرقه حسامي
ومما بلغت مشيلتها الليالي
ولا سمارت ولي بعدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخييل مني
فويسل .. في التيقظ والتمام
وكان يطله على ما شاهده من نهور وعظم هبته ، فغالبه
بهذه الايات .
وقد حاك الرواة حول هذا التكرة (ابي عبدالله معاذ الصديقي)
.. وعلى لسانه .. قصة واهية ، اختلفوا اختلفا ، واحفظوا
لها بكامل طاقاتهم الفنية ، وبنوا عليها ما ارادوه من تسمية
نسب الختني ، وتحويل القصد من دعوته العلوية الى الانصاه
بالبثوة ..
... وليس لها من اصل تاريخي الا هذه الايات .
- (١١) ولعلك تستحضر قوله في اخر مبره عند توبيع ابن العميد:
فان يكن « المهدي » من بان حديسه
فهذا ، والا فالهدي ذا ، فما المهدي ؟
يطلقنا هذا الزمان بذا الورد
ويصدح معما في يديه من التقد
هل الخير شيء ، ليس بالخير ، فسلاب ؟
أم الرش شيء ، غلب ، ليس بالرش ؟
(١٢) اعمى .. اعمى عن حقيقتي ، به صم .. صم عن دعوتي

الإنسان على القمر

• في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثامنة عشرة من مساء يوم ٢٠ يوليه سنة ١٩٦٩ وضع الإنسان لأول مرة قدميه على سطح القمر ، فتحقق حلم شاعري كان يراود خيال البشرية جيلا بعد جيل . وفي اللحظة التاريخية التي أذيع فيها خبر هبوط الإنسان على سطح القمر كان ميلاد هذه القصيدة للشاعر الذي قال مخاطبا القمر منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة في قصيدته « تحت ضوء القمر » في ديوان (الإلحان الضائعة) الصادر في عام ١٩٣٤ :
ولو حقق المسلم في فوزه
طلاب الجميع بان ييلفوك
لضقت بمن يهجرون جبيع الـ
كواكب يا بدر كي يسكنوك

شعر
حسن كامل الصيرفي

يُخْرِجُ عَنْهُ اسْتَارَةَ
فِي فَلَكَ لَمْ تَكْذُرْ قَرَارَةَ
عَيْنَاهُ فِيهَا مِظْطَارَةَ
صَنَعْتُهُ عَقُولَ جَبَّارَةَ
لِيَكْتَفِي فِيهِ اسْرَارَةَ
وَالْأَرْضُ بِجَمِهِ مَوَارَةَ ١٠٠

القَمَرُ اسْتَسَلَّمَ لِلْإِنْسَانِ
إِنْسَانُ الْأَرْضِ الدَّوَّارَةِ
يَقْزُو الْإِثْمَالُ وَقَدْ مَسَّيْتُ
عَزَّوًا بِسِلَاحِ جَبَّارِ
وَبُغْضِ الْخَنَمِ بِهَذَا الْفَزِ
لَمْ يَنْفِكَ فِيهِ بَرِيءٌ دَمِ

المُطْلِقُ فِي الْكُونِ شَرَارَةَ
وَرَوَاهُ كَوَاكِبُ سَيَّارَةَ
وَالرُّؤْيَا فِي الْغَيْبِ إِشَارَةَ
فَتَحَّتْ لِلْعَالَمِ إِنْظَارَةَ ١٠٠

القَمَرُ اسْتَسَلَّمَ لِلْإِنْسَانِ
ضَاقَتْ بِرَوَاهُ نَتِيَاهُ
أَجْيَالٌ ... أَجْيَالٌ مَرَّتْ
رُؤْيَا الشُّعْرَاءِ ... وَكَمْ رُؤْيَا

لَوْ تَقَى فِيهِ أَغْوَارَةَ
مِنْ مَاضِي لَمْ يَتْرُكْ شَارَةَ
وَقُتُونِ الْفَتْرَةِ وَالْفَارَةَ
لَأَمَّاءَ جَدِيدَاتِ حَضَارَةَ

إِنْسَانُ الْأَرْضِ الدَّوَّارَةِ
وَتَسَامَى عَنْ حَقْدِ بَاقِ
وَتَنَاسَى الْغَابَ وَشِرْعَتَهَا
وَتَحَوَّلَ فِكْرًا عَلَوِيًّا

هَلْ يَزْعَمُ لِلسَّلَامِ شِعَارَةَ
صَفْوًا وَنَقَاءً وَطَهَارَةَ ١٠٠

جَبَّارُ الْأَرْضِ الْجَبَّارَةِ
وَيُطْلِقُ فِي كُلِّ سَمَاءِ





تجربة المركز الثقافي العربي

في جنيقة

ووجوب الأفادة منها..

الجوانب السياسية التي تكتنف المواقف والاتجاهات العربية ، ولكن تلك النشأت والكتيبات والمجلات على وفرتها وجمال طبعها وحسن اخراجها لم تأت بالنتيجة المرجوة في توجيه الرأي العام السويسري ، وهو كما نعلم على أعلى درجة من التقسّم العلمي والثقافي، الأمر الذي يجعل من العسير التأثير عليه ببعض التيارات الدعائية المؤقتة المتهللة في الطبوعات والمنشورات ، مهما بلغت درجتها من الانتان والأعداد. ان الشعب المثقف ثقافة عالية لا يمكن الوصول الى اعماق اعماقه وبس الاوتار المؤثرة في روحه ، الا عن

لا شيء اعظم من التجارب اعادة في توجيه الكفاح الوجهة الصادقة الصحيحة.ولقد كانت تجربة العمل في ميدان الدعوة العربية بالديار السويسرية مفيدة ايها القادة في وضع الاسس الوليدة للدعوة التي ينبغي للامة العربية ان تقوم بتوجيهها الى الشعوب الاوربية ولا سيما تلك الشعوب المعروفة بحيادها الدقيق في المضمار السياسي الدولي .

لقد ظل وفد الجامعة العربية يعمل في جنيف سنوات عدة على اساس بث الدعوة السياسية وطبع المنشورات والكتيبات والمجلات التي تتولى شرح

طريق الثقافة والادب .

ان الثقافة هي الوجه الحقيقي للحضارة ، بل انها في الواقع تعتبر امل وجه للسياسة نفسها ، والسذي يدعو للثقافة من الثقافات القوية يجد الطريق مبهدا ميسرا ويصل الى بغيته وصولا سهلا هينا ، وتحقق فائدة اعظم من تلك التي يحلم بتحقيقها عن طريق الدعوة السياسية السافرة المباشرة .

ان ركاب السكك الحديدية او الطائرات الذين يلتقون مصادفة في رحلة من الرحلات لا يبدؤون الحديث بينهم اول ما يبدؤونه على اختلاف جنسياتهم ، الا في امور عابثة تتناول الشؤون الثقافية في الاغلب الامم ، وهكذا ينبغي ان يبدأ الحوار الاعلامي مع الدول الأجنبية ، ولا سيما الدول الحابدة بان تكون الدعوة ثقافية ، متتحقق الفائدة المرجوة منها سريعا ، في الناحيتين السياسية والثقافية معا .

هذه الخواطر كلها دارت في خاطري عندما توليت اعمال الوفد الدائم لجامعة الدول العربية في جنيف بعد عدة سنوات من بدء نشاط الوفد ، ولما تأكدت لي صحتها ، عدت الى انشاء مركز للثقافة العربية تابع للوفد الدائم للجامعة العربية في جنيف ، وقد بدأ ذلك المركز نشاطه في شهر سبتمبر ١٩٦٣ ، وكان انشاء هذا المركز يهدف الى تحقيق تفاهم وثيق بين الامة العربية وسويسرا ، وقد بدأ المركز الثقافي نشاطه :

١ - بافتتاح فصول لتدريس اللغة العربية للسويسريين خاصة وللأجانب المقيمين في سويسرا بصورة عابثة من الاوربيين والامريكيين والاسيويين ، وكلنا يعلم ان بجنيف جالية عالمية كبيرة تتألف من موظفي المكتب الاوربي للامم المتحدة في جنيف ومن موظفي الوكالات الدولية المتخصصة الاخرى وهي كثيرة جدا .

وبافتتاح فصول اخرى لبناء الامة العربية من حرمهم ظروف الحياة تعلم لغتهم القومية ، كانباء الشمال الافريقي ولا سيما الجزائر ممن قضت ظروف كفاحهم ضد الاستعمار او قضى المستعمر بحرماتهم تعلم لغتهم القومية الخالدة ، فضلا عن ابناء البلاد العربية الاخرى المقيمين في سويسرا وقضت ظروف نشأتهم الخاصة بحرماتهم نصيبهم من تعلم لغتهم القومية ، ويدخل في هذا السبب ابناء اعضاء السلك الدبلوماسي العربي ممن يجدون مشقة في تعليم ابنائهم اللغة العربية تعليلها قويا صحيحا .

٢ - انشاء نواة مكتبة عربية في مقر المركز الثقافي العربي تستهدف الغائبين الثالبيين :

١ : جمع ما يحتاج اليه الباحثون الغربيون من

مراجع في الشؤون العربية .

ب : جمع ما يحتاج اليه الطلاب العرب الذين يقيمون في جنيف وما جاورها لتتبع احوال البلاد العربية بوجه عام ، والطلاب الذين يعدون ابحاثا عن البلاد العربية بوجه خاص .

وقد ضم الى المكتبة الكثير من الكتب والمنشورات العربية التي تتعلق بتاريخ البلاد العربية وجغرافيتها واقتصادياتها وقوانينها ووضعها الاجتماعي ، كما ضم اليها الكثير من المراجع السياسية المنشورة عن البلاد العربية باللغات الاوربية .

وقد ساعدت في تكوين هذه المكتبة جهات كثيرة في طلبعتها السفارات العربية التي هبت مشكورة للمساعدة في انشاء هذه المكتبة وكذلك جامعة الدول العربية وجامعة جنيف ، والمعهد الدولي العالي للعلوم السياسية بجنيف ، والمعهد الافريقي بجنيف والامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة في جنيف ، فضلا عن جامعات زيورخ ويسالز وفريورج .

الدكتور مختار الوكيل

مدير معهد المخطوطات العربية
والرئيس السابق للوفد الدائم لجامعة
الدول العربية في سويسرا

وقد تكونت بالفعل نواة طيبة لمكتبة قبية على الطراز العلمي المصري وانتفع فعلا بوادها الكثير من الباحثين في الشؤون العربية من العلماء الاوربيين والسويسريين كما انتفع به الطلاب العرب في مضمار ابحاثهم .

٣ - طرح المركز الثقافي العربي جائزتين ثقافيتين الاولى عن طريق جامعة جنيف وثيبتها الفخري سويسري وتمنحها للطلاب الذي يفوز بكتسابة احسن بحث حول موضوع (مساهمة العالم العربي في مضمار الحضارة العالمية) ويحصل صاحب البحث الثاني على ٥٠٠ فرنك وصاحب البحث الثالث على ٣٠٠ فرنك وقد تبنت الاجراءات الخاصة

تجربة المركز الثقافي العربي في جنيف ووجوب الأداة منها ..

بهذه الجائزة مع جناب الاستاذ جرافن مدير جامعة جنيف، واشرفت على فحص الموضوعات الداخلة في المسابقة لجنة من كبار اساتذة الجامعة .

اما الجائزة الثانية فقد طرحت على الصعيد الشعبي في سويسرا كلها وقيمتها ألف فرنك للفائز الاول وخمسة مائة فرنك للفائز الثاني وثلاثمائة للثالث ، وقد اشرف على فحص الأبحاث المتقدمة جناب الاستاذ شافان وزير التربية وكان لشرح هاتين الجائزتين صدى واسع ويعيد في المحيط الثقافي السويسري ولقت الانتظار الى نشاط المركز الثقافي العربي ، مما دعا المركز الى تكرارهما على المحيطين الجامعي والشعبي .

٤ — اعد المركز الثقافي منذ تسعته برنامجا اسبوعيا لمحاضرات الثقافية العامة يدعى اليها بصورة دائمة كل طلاب العلم والمعرفة سواء كانوا من المنتمين الى المركز الثقافي العربي او من غير المنتمين اليه ، يلتقي هذه المحاضرات الثقافية كبار الاساتذة المختصين من العرب واليوبريين والاوربيين ، وكانت هذه المحاضرات على الدوام مركز تجمع اكبر عدد من رجال الثقافة وطلاب المعرفة وما اكثرهم في جنيف ، ولقد شارك في محاضرات هذا المركز ومناظراته كثير من افاضل الاساتذة في الامة العربية ، من امثال الاستاذ الدكتور ابراهيم حلمي عبدالرحمن والاساتذ ساطع الحصري والدكتور حسين مؤنس والدكتور انور لوقا الاستاذ بجامعة عين شمس ، كما اشترك فيها من الجانب الاوربي الاستاذ جرافن مدير جامعة جنيف والاساذ الدكتور برنر جانيويان عميد كلية اداب جنيف والاستاذ شافان وزير المعارف ، والمسيو صوميل جوتار رئيس اللجنة الدولية للصليب الاحمر الدولي ، والاستاذ جاك بيرك الاستاذ في الكولج دي فرانس ، بباريس والاساذ روجيه ارلانديز الاستاذ بجامعة ليون بفرنسا ، والباستور اوجين مورن من نوشاتيل، والاساذ سمون جارجي بجامعة جنيف .. الخ . واصبح المركز الثقافي العربي بذلك قبلة المجتمع الثقافي السويسري ليس فقط في جنيف وحدها بل في مختلف اجزاء الاتحاد السويسري .

٥ — ترتب على ذلك مطالبة اهالي مدينة لوزان عاصمة اقليم (النود) المركز الثقافي العربي بجنيف بافتتاح فرع له في لوزان ، وقد عرضت مدرسة التجارة في لوزان ان توفر بالمجان فصلا من فصولها لتدريس اللغة العربية فيه ، وقد نجحت التجربة في لوزان نجاحا بينا والحمد لله وكان المركز الثقافي مصمما على افتتاح فصول اخرى للغة العربية في زيورخ وبازل ولوجانو وسان جال ، وغيرها من المدن الهامة .

٦ — اتسع المجال امام نشاط المركز الثقافي العربي وفتحت الابواب على اختلافها في وجهه ، وكتب له الله التوفيق العظيم مما شجع على طرق باب آخر من ابواب الدعوة الثقافية ، ونعني به اقامة المعارض الثقافية ، فقد اعتد المركز الثقافي العربي على الله وقرر افتتاح معرض للكتب والمخطوطات العربية المترجمة الى اللغات الاجنبية الحية ، وقد تم له ما اراد بتوفيق كبير من الله سبحانه ، وقد اقيم ذلك المعرض في جامعة جنيف في الامة ما بين ٢ — ١٨ مايو ١٩٦٥ وشهده الآلاف من علماء واساتذة وطلبة جنيف ، كما شهده الوزراء والاعيان ورجال الدعاية والتجار وكان حشدا ضخما للفكر العربي وقد اصدر المركز الثقافي كتابا ضم مجلات بالكتب المعروضة، كما اشغل على دراسات علمية قيمة منها دراسة للاستاذ الدكتور حسين مؤنس عن اهمية الدراسات العربية والاسلامية في الغرب ، ودراسة للاستاذ سمون جارجي موضوعها (في سبيل اكتشاف الادب العربي الحديث في فرنسا) ودراسة للاستاذ سيزار دوبلر الاستاذ بجامعة زيورخ عن (مساهمة الاسبان في معرفة العالم العربي) واخرى للاستاذ فرانسيسكو جبريلي الاستاذ بجامعة روما عن (دراسات عربية في ايطاليا المعاصرة) ودراسة للاستاذ تاديز لوتسكي والاستاذ بجامعة فارسوفا (ارسو) عن تاثير الامة السلافية في البلاد الاسلامية) وثمة دراسة للاستاذ اربري الاستاذ بجامعة كبريدج موضوعها (دراسات بريطانية في مضمار الروحانيات الاسلامية وفي الاداب العربية) ثم تلا ذلك ثبت علمي منسق لكل الكتب المعروضة موزعة حسب موضوعاتها المختلفة، وهي الكتب التي اشترك في جباها للمعرض دول كثيرة في الشرق والغرب مما أكد قيام التضامن الدولي الصادق في المضمار الفكري العالمي، فقد اشتركت في المعرض فرنسا وروسيا وانجلترا وابطاليا والمانيا الغربية والشرقية واسبانيا

اصدرت وزارة الارصاد والائتماء
عندها الاول من مجلة « عالم الفكر »
وهي المجلة التي اخذت الوزارة على
عاتقها ان تجعلها مجلة متخصصة في
الدراسات الانسانية على مختلف
انوائها واشكالها . كما ينضج فلك
من هذا العدد الاول
ان هذه المجلة المتخصصة تصدر
في ظرف دقيق حساس من ظروف الامة
العربية . وهو من اقصى ظروفها التي
تعيشها في هذا العصر المتطور الذي
يكتسب فيه العلم ان قلب اوضاعه
رأسا على عقب .

وفي هذا العصر العلمي المتطور .
والظرف القاسي من ظروف الامة
العربية . تتسلل ابد خفية للاستيفيد
منها كلالها .

ومجلة « البيان » اذ تنظر الى هذه
المجلة بكل اعصاب وتقدير . لتأمل
ان تكون احدى اللينات القوية المستقل
عظيم وزاهر لهذه الامة . التي تحاول
بعض الايدي الخفية طمس معالم
تاريخها وتراثها وحضارتها . ونرجو
لها ايضا الفوز من الاحداث العلمية التي
تسير الطريق وتساعد على الترفي
والبناء . مستفيدة من تاريخ اتمتتها
الواضحة المريق . ما يحق لها الخلاص
التي ترجوها من تقدم علمي . ورقمي
حضاري . ومستفيدة ايضا من كل
تجارب الانسانية العظيمة التي تعمل
في خدمة البشرية جميعا .

اقر المكتب الدائم للاتحاد العام
للادباء العرب اصدار مجلة فعليه
للاتحاد باسم « الادباء العرب »
يشترك في تحرير مادتها الادباء في جميع
ارجاء الوطن العربي . يقامان
مكافآت تمنح عن كل انتاج ينشر فيها .
وتتالف هيئة تحرير هذه المجلة من
الامين العام . والاهماء المساعدين
للاتحاد .

ويسر مجلة « البيان » ان تعمد
بتبنيها الى مجلة « الادباء العرب »
راجية لها . بقدر اذدهار .

الأدباء العرب

وهولندا وبولندا كما اشتركت فيه الدولة المغربية
بنماذج من المخطوطات العربية الرائعة التي كانت
موضوع اعجاب المشاهدين من مختلف اقطار
العالم . وقد اعيد عرض المعرض نفسه في زيورخ
بدار المكتبة الجامعية في يوليو ١٩٦٥ وشهد الافتتاح
جناب عمدة زيورخ وكبار شخصياتها السياسية
والعلمية والادبية . وكان نجاحه هناك مضاعفا .
كذلك اقام المركز بعض المعارض الفنية . مثل
معرض طوابع البريد العربية الذي اقيم ببينيت
الطلبة بمدينة جنيف ونال نجاحا عظيما وتحدثت
عنه الاذاعة وعرض التلفزيون نماذج كثيرة من
الطوابع التي ضمها ذلك المعرض . وكذلك
معرض اللوحات الفنية للصور البولندية لابتجير
الذي كان قد زار البلدان العربية وتولى رسم
الكثير من الصور الفنية المعبرة . وقد نجح
المعرض المذكور نجاحا كبيرا .

٧ - اثبت نجاح هذه التجربة بها لا مجال للشك فيه
وبطريقة عملية اوضحت ان ميدان الدعوة الثقافية
هو امل الميادين وانجحها في المجتمعات الراقية .
وانه مما ينبغي ان تهمل له الاسباب وتعمد السبل .
ولقد وجد المركز الثقافي بعد هذه التجربة التي
استمرت زهاء ثلاث سنوات . ان الطريق مهده
لتبادل ثقافي مثير ومفيد على اوسع نطاق . وقد
بدا المجتمع الاوربي الغربي يالك معرفة وامثال
كتاب وفنانين لامعين في الوطن العربي اقبلوا
طه حصين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور واحمد
رامي وعزيز اباطله وعلي باكتر ومحمود اسماعيل
وصالح جودت وام كلثوم ومحمد عبد الوهساب
ومحمود مختار ومحمود سميد وراغب عياد . الخ
 واصبحت الفرصة متاحة لنشر الكثير من مؤلفات
هؤلاء الرواد واتارهم على اوسع نطاق بواسطة
دور النشر العالمية . ووضعت خطة متقنة لذلك
النشر المنتظم الدقيق الذي يخرج بالفكر والفن
العربي من حدوده الاقليمية الى المحيط العالمي
الواسع .

ولكن المركز الثقافي العربي الذي نشأ
كخبرة رائدة في كنف الوند الدائم لجامعة الدول
العربية في جنيف قد قضى عليه القضاء المبرم في
صيف عام ١٩٦٦ والامة العربية احوج ما تكون
الى اعادة انشائه على اساس قوية راسخة وعن
معرفة ودراية وعلم وادراك . والفرصة لا تزال
متاحة للمرب لكي يقوموا بعمل فعال ومفيد في هذا
المضمار وان يتجهوا صوب الهدف غير مترددين
والله الموفق .

الدكتور مختار الوكيل

الشعراء

والأحتراف المهني

استعجم السلاطين والابرء ، واصبحوا لا يسيغون الشعر ولا يجيزون عليه ، ولا يقرّبون رجاله . ومع هذا فقد اجتمع في القرون الاربعة الاولى للإسلام شعراء البلاط والديح والترفّع عن الاحتراف ، مع شعراء المهن الصناعية جنباً الى جنب . فهذا الشاعر « الخباز » نصر بن احمد المشهور بالخبز ارزي والذي كان يصنع الخبز من دقيق الارز ، يجتمع في عصر واحد مع البحترى وابن المعتز ، والبسماني البغدادي . وهذا الشاعر السري « الرقاع » الذي كانت مهنته رفو الثياب وتطريزها يجتمع في عصر واحد مع ابي فراس الحمداني الامير الفارس ، ومسح المتنبّي ، والسلامي ، والنابيّ ، وابن نباتة السعدي . . وتصادفنا في الشعراء ذوي المهنة اسماء : الرقاع ، والخباز ، والحائك ، والنقاش ، والخباز ، والمطار والدهان . كما تصادفنا اسماء مهن دقيقة كالساعاتي ، والاسطرلابي ، وحرف طبخة كالخباز كالكحل الذي يعالج العين . على ان هذه المهن اللطيفة نوعاً تقابلها مهن شديدة عنيفة ، كالحداد والجزار . وهناك مهن تقرب من المزاج الادبي الشعري وتلتئم معه ، كالنساخ ، والوراق (١) وهي مهنة اغضت بكثير من اصحابها الى مناصب العلماء الثقاة الاثبات كما تجده عند ياقوت الرومي صاحب « معجم الأبناء » و « معجم البلدان » الذي اشتمل اول امره بالورقة والنسخ . كما ان هناك مهناً يسعّب تصور حدوثها في الشعراء « الكلابي » ، الملك بخبة الصبايات . و « الكلقاعي » الذي يبيع الفقاع ، وهو شراب

تصادفنا في تاريخ الادب العربي طائفة من الشعراء الفصاح ، جمعا بين الشعر الفني واحتراف المهنة التي يتقربون بها اسباب معاشهم في الحياة . فهم ينظمون الشعر الجيد - فصيحاً كان ام غايياً - وينشدونه الرواة الذين يزدحمون عليهم لسبب اشعارهم وهم - في الوقت نفسه - يعملون بايديهم - او بارجلهم احياناً - ما يمينهم على التلغ بلقبة العيش .

ويلاحظ ان شعراء المهن والحرف الصناعية كانوا قلة في المجهود الاولى للشعر ، حيث كان الخلفاء والابرء والولاة يتنافسون في تقريتهم اليهم ، ويجمعونهم حولهم ، ويحيطونهم برعايتهم ، ويكفونهم مؤونة السعي في طلب الرزق . . فهذا الشاعر « جرير » يند على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان مستنحاً وواعداً وزوجه واولاده بمطاء الخليفة ، وبمنيا نفسه بخير كثير . فيقول في مدح الخليفة :

السمسم خير من ركب الظايبا

واندى المالكين بطون راح ؟

فيهتز عبد الملك لهذا الدح ، ويخلع عليه من العطايا ابلا ، ورعاء ، وابوالا ، وكسوة . ويكرر الشاعر المدائح ، فيكرر المدح الاعطيات . .

والحق ان الحرف الصناعية كانت عملاً لا يليق باشراف العرب وذوي الاحساب منهم . فلما اتسعت رقعة المملكة الاسلامية العربية ، وتغيرت مفاهيم الناس في الحياة ، رايينا ان الناس اقبلوا على الحرف . ولم يتأفف الشعراء الموهوب بفطرتهم ان يجد في المهنة الصناعية مجالاً لرزقه ، وخاصة بعد ان

الشعر المخبر ..

ومنذ منتصف القرن السابع الهجري نجد شعراء الاحتراف قد كثروا كثرة ظاهرة في مصر والشام على الخصوص ، ثم ازداد عددهم في العراق وبقية البلاد العربية بحكم الأحوال الاجتماعية ، الطارئة على المجتمعات الإسلامية في ذلك الحين . ولعل عدم تقدير الشعراء ورؤسائهم للشعر والادب في تلك المهود ، حمل الشعراء على الفرار الى المهنة الكاسية - وضعية كانت ام رغيمة - حتى لا يجدوا امام حالة من الاغفال والتركيز . ويصور لنا الشاعر المصري الطريرف « السراج الوراق » المتوفى سنة ٦٩٥ هـ الحالة بقوله عن هؤلاء الرؤساء المهملين شأن الشعر :-

رفضوا الشعر جهدهم ، ورويه بينهم بالهوان والازدراء
فلو ان الكتاب كان بأيديهم محوا منه آية « الشعراء » !
ومن اللطيف ان أكثر شعراء الاحتراف لم يخرجوا من الإشارة في اشعارهم الى صناعاتهم ، ولم يجدوا بأسا او عيبا في ذكرها ، بل اشار بعضهم الى ان مهنته كانت تحفظ عليه حياته ، وتصور ماء وجهه عن مسالة اللثام ، حتى ليكنها اذا ما غدا رزقه بها ضيقا . فترى « السرى الرءاء » المتوفى سنة ٣٦٢ هـ يشير الى ابرته ومهنته في الرفو قائلا :-

وكانت الابرة فيهما مقبى

صانعة وجهي واشعاري

فاصبح الرزق بها ضيقا

كانه من ثقبها جباري ..!

ولا ننس هذه اللحة الدقيقة في التشبيه . فلن يبلغ الرزق حدا من الضيق أكثر من ان يكون جاريسا من ثقب ابرة ...

و « السرى الرءاء » ليس الشاعر الوحيد الذي وجد في صناعته صيانة لما وجهه . فهناك الشاعر المصري الخفيف الظل ، الحلو الدعاية ، اللطيف الفكاهة : « ابو الحسين الجزار » ، الذي صار علما بين شعراء مصر في القرن السابع الهجري والذي عاش في العصرين الايوبي والمملوكي وتوفي سنة ٦٧٩ هـ . فقد أثر الجزار حرفة ، وعلل هذا بتعليل لطيف ، وهو ان الكلاب أصبحت ترجيه وتصد بباب مكانه لتتال منه العظم ، مع انه بالشعر كان يضطر الى قصد المدحجين الذين هم أشبه بالكلاب ! ويقول في هذا المعنى حين لابه « شرف الدين بن تديم » على ترك الشعر والعودة الى الجزاره :

لا تلقي ياسيدي شرف الدين اذا ما رايتني قصابيا
كيف لاشكر الجزاره ما غشت حفاظا وارفض الادابا ؟
وبها اصحت الكلاب ترجيني وبالشعر كنت ارجو الكلابا
ويكرر الجزار هذا المعنى في بيتين آخرين ، فيقول :

لا تعبني بصنعة القصاب

فهي انكسى من عنبر الآداب

كان فضلي على الكلاب فخذ صر

ت ادبيا رجوت فضل الكلاب ..

ومعروف من الذين يقصدهم الشاعر الجزار

بلفظة الكلاب الثانية ..

ويمثل لنا هذا الشاعر المهني موقف الرجل المتحير

بين الفن الشعري والحرفة . فقد هجر الجزاره بعد

ذلك وعاد الى الشعر مؤلما ان يجد فيه مجالا لطوبهه،

ولكنه وجد فيه بوارا وكسادا ، فغنى انه ما كان

جزارا ولا شاعرا ! وعبر عن ذلك بقوله :-

اصبحت في امري ولا

اشكو لغير الله حائرا

ولكم يذكرني التشتا

بإبره ولكم اكاسر !

واللحم يقبح ان اعو

د ليعبه ، والشعر بئار

يا لفتني لا كنت جزا

را لا اصبحت شاعر !

ويظهر انه وجد السعادة في القناعة والرضى

وحمد الله وعدم التشبث باطراف الخيال ، كما وجد

راحة البال في الابتعاد عن كل مطلب بعيد المنال ،

فكتب الى جبال الدين بن بغفور نائب السلطان الايوبي

يقول :-

طاب عيشي والحمد لله اذ كنت نه حامدا على كل حال

ما لباس الحرير مما ارجيه فيرجى ، ولا ركوب البغال

راحة السر في التخلف عن كل محل أضحي بعيد المنال

وقد صور لنا الشاعر الطبيب « الكحال » شمس

الدين محمد بن دانيال - صاحب كتاب « طيف الخيال »

المشهور والمتوفى سنة ٦٠٨ هـ - حالته مع الناس ،

واضطرابه الى احترام مهنة « الكحالة » او تطبيب

العين ليكسب رزقه ، وان دراهم نفقاته في الحياة

ياخذها من عيون الناس ... فقال :

يا سائلي عن حرفتي في الوري

واضعني فيهم وافلاسي !

ما حالَ مَنْ دُرِّهَمَ انفاقه

ياخذُه من اعين الناس ؟

وهو تصوير لطيف لحكم الرزق الذي يأتي مضيقا

عليه ، كرزق الشاعر الرءاء الذي يأتي كانه يجري

من ثقب ابرة ، كما سلف القول .

ويجد شعراء الاحتراف في مهنتهم مجالا واسما

مناسبا لاتنزاع تشبيهااتهم واستعاراتهم وكتابتهم وسائر

معانيهم منها . فحرفهم هي اخصب ميدان ، واكثر بيئة

مناسبة لاستغلالها فيها يديرونهم افكار في اشعارهم .

فأبو الحسين الجزار يقول بتوعداً من هجوه وشتموا
عرضه :-

أقررت أني جزار تما ذكرىروا

عني ، فهل غير هذا القول عندهم؟

وان يكن « أحمد الكندي » متهماً

بأنفخر قبلي ، فاني لست انهم !

فالحلم ، والعظم ، والسكين ، تعرفني

والخلع ، والقطع ، والساطور والوضم !

ويقصد بأحمد الكندي الشاعر أبا الطيب أحمد

ابن الحسين الكندي المشهور بالمنبئ ، والقائل في

الفخر :-

فالخيل ، واللبل ، والبيداء تعرفني

والسيف ، والرمح والقرطاس والقلم !

ويقول شاعرنا الجزار المصري في موضع آخر

مشيراً الى « زغارة » الجزيرة :-

يقول اذ اشكوه زفرتي

لا بد للجزار من « زَفَرَة » (٢)

ويلاحظ الجناح هنا بين الزفرتين ، فالأولى هي

ضد الشيق . وتخرج من قم المحزون ، والسائبة

هي لرائحة اللحم الخاصة ..

وكتوله في وصف معشوق :-

ما خلت ان النار في وجناته

حتى بدا في عارضيه دخان

ومن شعراء المهنة المعروفين : « نصير الدين

الحمامي » المصري الذي اشتغل باكتراء الحمامات .

وقد قال فيه المؤرخ أبو حيان : « انه كان ادبياً

كيس الاخلاق » . وعلى الرغم من عابيته فاق في

نظم الشعر الفصح ، وتوفي سنة ٧١٢ هـ كما ذكر

صاحب « فوات الوفيات » ، وان كان صاحب

« الدرر الكامنة » ذكر انه توفي ٧٠٨ هـ . وما اكثر ما

كان يشير الى مهنته وحر حامية وبرودته . وكتوله :-

ومذ لزممت الحمام صرت الى

خلا يداري من لا يداريه

اعرف حر الاشيا وباردها

وأخذ الماء من مجاريه

وكتوله مشيراً الى حمامه ، ومستغلاً اللون

البديهي المعروف بالنورية :-

لي منزل معروفه

ينهمل غيثا كالسحب

أقبل ذا المذربيه

وأكرم الجار « الجنب » !

ومنهم « مجاهد بن سليمان » الخياط المصري

المشهور باسم « طنائش » والمعروف بابن الربيع .

وكان كما يقول ابن شاعر الكتبي من كبار ادباء

الجوام في القرنين السابع الهجري . ودارت بينه وبين

الشاعر أبي الحسين الجزار مهاجبات ومعاتبات

كثيرة . وقد لقيه المؤرخ الاديب الاندلسي ابن سعيد

المغربي - صاحب كتاب المغرب - في مدينة القسطنطينية

ببصر وأنشده شعره .

ومنهم « شمس الدين محمد بن علي الدهشان »

الدمشقي . الذي جمع الى حرفته الفناء واجادة

اللعب بالة الضان . وكان يجتنب عنده الادباء

والطرافة والشعراء في مكان انيق عمره بربوة دمشق ،

وتوفي سنة ٧٢١ هـ كما في « الدرر الكامنة » .

ولم يكن الدهان هو شاعر الحرفة الوحيد في

دمشق ، فقد جاء بعده بآثر من مائة عام الشاعر

علاء الدين علي بن ملك الحيوي الدمشقي ، الذي كان

يحترف ببيع شراب « القشاع » عند فتاة المعوني ،

ويكسب من ذلك رزقه . ولكنه كان بعيد الهمة ،

فصار يتردد الى دروس الشيخ « برهان الدين بن

عون » الفقيه الحنفي ، حتى غدا هو صاحب مكانة

عظيمة في فقه الحنفية ، وشارك في اللغة والنحو

والصرف كما يقول ابن العماد الحنبلي في شذراته ووبرع

في الشعر حتى لم يكن له نظير في منوته . ومن

بسم
محمد عبد الغني حسن



وتلك نجد الشاعر المصري الاسكتندري :

« ظافر الحداد » الذي كانت مهنته الحدادة والنسخ

في الكبر ، والطرق على الحديد . وقد عاش في العصر

الفاطمي وتوفي سنة ٥٢٩ هـ . فكثيراً ما كان يسدّير

الفاظ المهنة وتشبيهاتها في شعره . وكتوله في صفة

النجوم :-

كان نجوم الليل لما تبلجت

توقد جمر في خلال رماد

وهو يشير هنا الى كبر الحداد الذي تتودد فيه

جبرات الفحم . وكتوله في العيد :-

هال فان هلال العيدعاد بما

قد كنت تعهد من لهو ومن طرب.

كحلقه من لجين ذاب اكثرها

لا تغافل ملقيها عن التهب ..

اشاراته اللطيفة الى مهنته قوله :

لم اجعل الفقاع لي حرفة

الا لعني حسنك الشاهد

اتقابل الواشي بالحجر ، والـ

عازل أسقيته من البارد !

ولعل من اغرب الحرف التي امتنها الشعراء ذوو
القدار الفنية ، مهنة « المنداة على السلع » (٢) .
كالواواء الدبشتي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ ، فقد كان في
اول امره مناديا في دار البطيخ بدشقي ينادي على
الفواكه ، وما زال كذلك حتى نظم الشعر واجساد
فيه . وبلغ من رقة شعره انه اشتهر ودار على
السنة الناس في عصره . وتنسب اليه بعض ابیات
من القصيدة العينية التي تنسب لابن زريق البغدادي ،
ومعلمها :-

لا تعزليه فان المنزل يوجمه

قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

كما تنسب له الابيات الدالية التي منها هذا البيت
المشهور عند البیاتيين :-

فامطرت لؤلؤا بن نرجس وسسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

واذا كانت دبشقي القاهرة والفسطاط والاسكندرية
وحياة الموصل قد ظفرت بخفنة طيبة من الشعراء
المهنيين في مختلف العصور ، فان بغداد كان لها نصيب
من هؤلاء الشعراء الذين نعد منهم عيسى البغدادي
« النعاش » الذي توفي سنة ٥٤٤ هـ ، وكان فلفريفا
خفيف الروح صاحب نواذر كما يقول عنه ابن سaker
الكتبي . كما نعد من شعراء بغداد المهنيين : هبة الله
ابن الحسين المعروف « بالبدیع الاسطرابي » ، وكان
— كما تحدل عليه هذه النسبة — يشتغل بصناعة
الالات الفلكية ، وخاصة آلات الاسطراب . وقد
اثرى شاعرنا من هذه الحرفة التي انتقها الى حد
بمید . وقد اشتهر بالظرف — كما يقول مترجمو
سيرته — وتوفي ببغداد سنة ٥٣٤ هـ .

ويلفتي مع البديع الاسطرابي ، في الاشتغال
بحرفة دقيقة ، شاعر من اعلام القرن الماضي ، هو
محمود صفوت الحساني المتوفى سنة ١٨٨١م ،
والمعروف من اصحاب حركة الاحياء في الشعر العربي
الحديث ، ولم تلصق به هذه النسبة الصناعية
اعتباطا ، فيقول جامع ديوانه انه تعلق بعمل الساعات .
ويقول محمد حسن نائل المرصفي انه نشأ في صغره
محباً لاصلاح الساعات ، وينكر الاستاذ المسألة
خير الدين الزركلي ان يكون صاحبنا قد احترف صناعة
الساعات للعيشة والكسب ولكنه برع في عمله ،
وولع باصلاحها فنسب الى ذلك ..

ويلاحظ على شعراء المهنة بوجه عام سهولة
شعرهم ، وبساطة اساليبهم . ولعل لنشأتهم العابية
الاولى دخلا كبيرا في ذلك ، وان كانوا قد ظلوا على هذه
السهولة والبساطة حتى بعد اشتغالهم بدرس النحو
واللغة . كما يلاحظ عليهم روح المرح والدعابة وخفة
الظل التي تطبع شعرهم كله . وتكفي نظرة على ما بقي
لهم من دواوين واشعار متفرقة في كتب الاديب والراجح
والطبقات ، لتؤكد لنا صدق هذه الملاحظات ...

القاهرة

محمد عبد الفني حسن



(١) من شعراء المهنة « الطغرائي » المتوفى سنة ٥١٣ هـ ، وصاحب
« لآية العمج » المشهورة ، وكان يعترف بكتابة الطغري — او
الطرة — في اعلى كتب الملوک والرؤساء ، ومنهم ابو اسحاق
الزجاج النحوي المشهور المتوفى سنة ٣١١ هـ ، وكان يضرب
الزجاج وشعره نادر جدا .

(٢) الزخرفة والزخرفة من الانفاط العابية المستعملة لزخرفة اللوح
ورائحه القشرة .

(٣) من شعراء الحرفة ايضا سمعد بن علي الخزرجي ، وكان يبيع
الكتب في بغداد ، واشتهر بلبق « دلال الكتب » وتوفي سنة
٥٩٨ هـ .

كن
أطول
وامتا

يمكنك أن تزيد طولك من ٥ الى ١٥ سم .
باحث طريقة فسيولوجية . أرسل أربعة
فنانين كويتية بحوالة بريدية او شيك مصري
باسم : الاخصائي الفسيولوجي : (محمود
فؤاد : ص ٥٠ : رقم ١٥١٣ بالقاهرة) .
ازالة السمعة الزائدة والنحافة الزائدة والصف
العام بنفس القيمة لكل حالة . — كل طلب
غير مرقف بالمبلغ المحدد يهمل نهائيا . —

”نحية للزكري مرور عيسى حاما
على استنها والرحيم
محمد خير في المنفى الذي
أخاره لنفسه في عهد الفلاح“

أيها البائسون من أجل مصر
نفحت جيلها باطبيب ذكر
لكم بالقضاء أكرم جسر
كان فيه الجهاد من غير أجر
عاش ثواره كرهبان دير
فاشاعوا الفداء في كل صدر

أيها الثائرون في كل عصر
كل ثوراتكم بنسبات لأخرى
ما نهضتم للجد لو لم تهيب
رحم الله في الزمان أوانا
رحم الله في الرجال رعيلا
استخفت صدورهم بالنبايا

●●●
ثورة بعد ثورة ، ما ابتغوا منها سوى البر بالتراب الأبر
ثورة السيد القتيب الذي اطلع بعد الظلام أول فجر (١)
بورك اليوم ، يوم قال : اننا الشعب ، ولا يملك المقاليد غري
وأولى الولاة باسمي ، اننا الشعب ، وهذا حماي والأمر أري

●●●
وعرابي ، وهل نسيتم عرابي
وتحدى الأمر في ساحة القصر ، وما ريع من أمير وقصر
قال : قيم استمبتم الناس ، هل في الناس إلا ابن حرة وابن حر ؟

●●●
وزعيم الشباب ، أكرم من قال : بلادي ، وانت عزي ونخري (٢)
لك جبي ومجنني وفؤادي
ان أرم فرجة فانك عوسي
أيها الشعب ، لا حياة مع الياس ، فخل الأمال كاتيل تجري
أنا لو لم أكن من المهند مصرياً ، بسروحي ودنت لو كنت مصري

●●●
لم سعد ، وكيف ينكر سعد
وهو في الخالدين قبة عصر
وأبو ثورة تجلى بهسا الحق
تجلى الأبدان في يوم « بدر »

●●●
يا رواة التاريخ ، أما كتبت
فانكروا في الكتاب ان فريدا
لفظ الجاه والمناصب للحق
ليس القتيب صابرا دون ثناب
وأبي الغفو منة من اناس
وهب العمر للجهاد مقبلا
راضيا من كفاحه بحصاد
وقضى في اغترابه لم يشيع

●●●
أيلمون انه هجر القطر وامسى يصول في كل قطر
طافنا بالديار يستنهض الناس لكي ينصروا قضيبه مصر ؟
ما مقام المجاهدين اذا ما
ولى الأمر كل غدم وغر ؟
الرسول الكريم هاجر من مكة
لما غدت بدعواه تزي



اتمها هجرة الى غايبة الله لخير من قعدة رهن كفر
واذا الطير لم تسمه بفانيه ، هفا للفناء في اي وكفر
ليت شعري ، ماذا اغنيه للناس اذا حفت القيوه بشعري ؟
فاذا ما انطلقت اوقظ قومي
واذا الارض اظلمت واكفهرت
ليزج الضباب عنا ، ويلقي
واذا النسر ان اصيب بسهم
واذا العمر ضاع في الصبت والكبت فميزانه قلامه ظفر

●●●

يا اخا مصطفى ، عليك سلام
يا نبيل الخصال في غير زهو
لعزير والله ان تقبل الذكرى وملء القلوب حرقه جبر
ثم تطلع الى الوجوه وحقق
ثم تلفت الى العميون تجدها
ثم تسائل مني الخلاص ، يجبك
قمة النائبات انا خرجنا
كلنا ازهى النضال احتلالا
خرج الانجليز ليلة قنبر
واستخفوا بنا ثلاثة اعوام
ووقفنا نقول يا رب لطفنا
فبسي ان تكون ذكرك غبالا
واندفاعا لثورة في حنايا
وعلى راسهم فتى المعصي
حسبنا منه ان عزم صلاح

●●●

يا ابا خيالاد ، ونكرت يحلو
قد عرفناك ، لا بيدك الياس
وعرفناك فيك الصعدي ، اما
فاحتضنناك والظلام محيق
وعقدنا عليك امال شعب
لا ترج الخلاص من مجلس
انه مسرح طويل الماسي
انه مسرح ، ونحن الضحايا
ان تكن خير القديمة عادت
فاتبع خطه الرسول مع
وتوكل على العناية ، واجمل
ان ارضا تراهها عربي
ثم فلان في المؤمنين ويشر

علا بـ

شعر
صالح جهورات

البَاقِلَاتِي

مع

الكاتب عن اعجاز القرآن

انما انزل يعلم الله ، وان لا اله الا هو ، فهل انتم

مستجيبون ؟ ثم زاد في اظهار ضعفهم وعجزهم ، فتحسدهم بسورة منه ، فقال في سورة البقرة : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا مائتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » .

ومع هذا التحدي المتكرر عجزوا عن الاستجابة ، مع ان القرآن بلسان عربي مبين ، وهو لسانهم الذي به يتخاطبون ، ومع بلوغهم في الفصاحة الغاية التي ليس وراءها غاية ، ومن هنا قال سعد زغلول وهو بنوه بكتساب « اعجاز القرآن » للرافعي : « تحدى القرآن اهل البيان ، في عبارات قارعة مخرجة ، ولهجة واخرة مرغمة ، ان يأتوا بمثله او سورة منه ، فما فعلوا ، ولو قدروا ما تأخروا ، لشدة حرصهم على تكذيبه ومعارضته بكل ما ملكت ايدهم واتسع له امكانهم . هذا المعجز الوضيع بعد ذلك التحدي الصارخ ، هو اثر تلك القدرة الفائقة ، وهذا السكوت الذليل بعد ذلك الاستفزاز الشايع ، هو اثر ذلك الكلام العزيز » .

ويقول السيد محمد رشيد رضا : « القرآن كلام

من الحقائق الادبية ان القرآن الكريم جاء فيهر

العرب ، واخذ عليهم المسالك ، ومسلًا بتبليغ المستجيبين له ، المؤمنين به ، فمكثوا عليه ثلاثة وترتلا ، وحفظوا وتفهموا ، وعكف عليه فقهاؤهم وعلماؤهم تفسيرا واستجدادا ، ولكن كان هناك اخرون اضل الله قلوبهم ، واصم آذانهم ، فوققوا من الكتاب الالهي المعجز موقف العناد والافتراء ، فوقف لهم علماء الملة بالرصد ، يردون على شبهاتهم ، ويفسدون مقترياتهم ، ويكتشفون عن وجوه الاعجاز في كلام الله عز وجل بقدر ملكاتهم ومواهبهم .

واقترن اعجاز القرآن الباهر بتحديه الناس ان يأتوا بمثله ، فقال في سورة الطور : « ام يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » . وعادوا هذا التحدي حين قال في سورة الاسراء : « قل لمن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وكان الله اراد المبالغة في التحدي بكتابه حين طالب المكذبين به ان يأتوا بعشر سور مثله ، فقال في سورة هود : « ام يقولون افتراء قل فائتوا بعشر سور مثله مقتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا

سنة ٣٨٨ هـ .

وبعد الرماني والخطابي جاء ابو بكر الباتلاني بكتابه « اعجاز القرآن » الذي قال فيه مصطفى صادق الرافعي : « اجمع المتأخرون من بعده على انه باب في الإعجاز على حدة » . والباتلاني من رجال العصر العباسي الثاني في الاصطلاح المعروف عند مؤرخي الادب العربي ، لان الباتلاني قد توفي سنة ٤٠٤ هـ وهذا العصر يبدأ من سنة ٣٢٤ هـ (٢) . ومن اجل الباتلاني وكتابه يعتد هذا الفصل . وقد كان من فضل الله تعالى على هذا الكتاب ان قام بتحقيقه وتقديمه والتعليق عليه اخی العالم البحاتة الاستاذ السيد احمد صقر ، والى هذه النسخة المحققة رجعت ، ومن هذا التقديم افدت وانتفعت .

والآن : من الباتلاني ؟

انه ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباتلاني ، ولد بالبصرة ، ولم نعرف سنة ولادته ، ونشأ بالبصرة ، وتلقى جوانب من العلوم



المكتوب
احمد
الشرابي

على ايدي شيوخها ، ثم رحل الى بغداد واقام بها وواصل تحصيل العلوم عن شيوخها . تعلم الفقه على يد ابي بكر محمد بن عبيدالله الابهرى المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . وتلقى الحديث من ابي بكر احمد بن جعفر القطيعي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ . وتلقى علم الاصول من محمد بن خفيف التبرازي المتوفى سنة ٣٧١ هـ . وتلقى علم الكلام من ابي الحسن الباهلي البصري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . وتلقى ايضا عن غير هؤلاء .

وجلس الباتلاني في مجلس الامير عضد الدولة ، وظهر عليه وثاقفته ، ووكل اليه عضد الدولة تعليم ولده « عصام الدولة » بذهب اهل السنة ، كما اسند عضد الدولة الى الباتلاني رئاسة البيعة التي اودعها سنة ٣٧١ هـ الى ملك الروم ، فظاهر الباتلاني عليه وذكاءه ، وصان كرامة العلماء ، ودافع عن الاسلام ، وظهر البراعة في تصرفاته .

الله المعجز للخلق في اسلوبه ونظمه ، وفي علومه وحكمه ، وفي تأثير هدايته . وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية ، وفي كل باب من هذه الابواب للاعجاز فصول . وكل فصل منها فروع ترجع الى اصول . وقد تحدى محمد رسول الله النبي العربي الامي العرب باعجازه . وحكى لهم عن ربه القطع عن الاتيان بسورة من مثله . فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على ابطال دعوته . واجتاحت نبته ، وتنقل جميع المسلمين هذا التحدي الى جميع الامم فظهر عجزها ايضا (١) .

ويقول الرافعي عن القرآن : « هو كتاب السماء الى الارض مستقرا ومستودعا ، وقد جاء بالاعجاز الابدی الذي يشهد على الدهر . ويشهد الدهر عليه . ولقد تكررت مؤلفات العلماء والادباء في بيان اعجاز القرآن الكريم . وفصح قصور المفترين عليه ، وما زالت هذه المؤلفات تتكاثر . ولعل اول كتاب افرد صاحبه لبعض القول في الاعجاز هو كتاب « نظم القرآن » للجاحظ المتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وقد تكلم فيه عن روعة تغيير القرآن واسلوبه . وقال عنه انه قد اجهد فيه نفسه . وبلغ به اقصى ما يستطيع في الاحتجاج للقرآن . والرد على كل طعان . ولكن الباتلاني يقول : « وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا لم يزد فيه على ما قبله المتكلمون قبله . ولم يكتشف عما لبس في اكثر هذا المعنى » . ولينا عرفنا السبيل الى الاطلاع على كتاب الجاحظ . لنحكم له او عليه بيقين .

وكذلك كتب عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري كتابه « تاويل مشكل القرآن » الذي رد فيه كيد الكاذبين للقرآن الى تحورهم . وقد توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ . ولعل اول كتاب جاء في عنوانه كلمة « الاعجاز » هو كتاب ابي عبدالله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ هـ . وسماه « اعجاز القرآن في نظم وتاويله » وهو مفقود . واذا اخذنا تاريخ الوفاة اساسا للترتيب الزمني وجدنا من وراء الواسطي اكثر من واحد الفوا في اعجاز القرآن الكريم . وان يكن كل منهم قد سعى كتابه « نظم القرآن » كما فعل الجاحظ . فالف ابو بكر عبدالله بن ابي داود السجستاني المتوفى سنة ٣١٦ هـ . كتابه « نظم القرآن » . وكذلك فعل ابو زيد احمد بن سليمان البليخي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ . وكذلك فعل ابو بكر احمد ابن علي بن الاخشيد المتوفى سنة ٣٢٦ هـ . وعاد المؤلفون يذكرون كلمة « الاعجاز » فكتب ابو الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ : « اعجاز القرآن » . وكذلك فعل ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي المتوفى

اسرافا في التطاول على الباقلائي والتجريح له ابن حزم
الناصري الذي قال فيه ابن العريف : « كان لسان
ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين » (٤).
وللباقلائي كتب كثيرة تزيد على الخمسين منها

ما يلي :
اعجاز القرآن — التهديد : في علم الكلام — هداية
المسترشدين والمفتع في معرفة اصول الدين (٥) —
الانتصار لصحة نقل القرآن — الفرق بين معجزات
النبيين وكرامات الصالحين — مناقب الائمة — اكتمار
المناويل — كتاب الامة الكبير — كتاب الاصول الكبير
في الفقه — كيفية الاستشهاد في الرد على اهل الجحد
والعنناد — كشف الاسرار وهتك الاسرار في الرد على
الباطنية — الايجاز — الابانة عن ابطال مذهب اهل
الكفر والفسالة — التقريب والارشاد في اصول الفقه
الدماء التي جرت بين الصحابة — جواب اهل فلسطين
— شرح ادب الجدل — الكرامات — فضل الجهاد (٦)
.. الخ .

وقد توفي الباقلائي يوم السبت لسبع بقين من ذي
الحجة سنة ٤٠٣ هـ او سنة ٤٠٤ هـ — ودفن في داره
ببغداد ثم نقل بعد ذلك ، فدفن بالقرب من قبر الاسام
احد بن حنبل رضي الله عنه ، في مقبرة « باب حرب »
هذا عن الباقلائي الكاتب في اعجاز القرآن ، فهاذا
عن كلبه ؟

يذكر الباقلائي ان السبب في تأليف كتابه « اعجاز
القرآن » هو جراحة بعض الناس على الخوض في
اسرار القرآن ، ومخارفته ببعض الاشعار ، ويشير
الباقلائي الى وجود « ملحة العصر » في عهده ، ولذلك
يرى من الواجب على العلماء ان يسارعوا الى القول
في بيان اعجاز القرآن الكريم ، وقد اشار الباقلائي
في كتابه الى جهود من سبقوه بالقول في اعجاز القرآن ،
ومن ذلك العبارة التي قالها عن الجاحظ : « وقد
صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابا ، لم يزد فيه على ما
قاله المتكلمون قبله ، ولم يتكشف عمايلتس في اكثر
هذا المعنى » ، وحينما تحدث الباقلائي في احد فصول
الكتاب عن بيان وجه الدلالة على ان القرآن معجز
قال : « وهذا الفصل قد بينا ان الجميع قد ذكروه
وبنوا عليه » ويتحدث عن عجز العرب عن التحدي
ثم يقول : « والى هذا الموضوع قد استقصى اهل العلم
الكلام ، واكثروا في هذا المعنى واحكموه » (٧).
ولكننا نلاحظ ان الباقلائي هنا لم يذكر اسما من
سبقوه بالتأليف في الاعجاز ، وانما عمم الاعتراف
بفضلهم . ويكرر هذا الاعتراف حيث يعمد فيقول :
« الكلام على مطامن المحدث في القرآن مما سبقنا اليه ،
وصنف اهل الالب في بعضه فكمواواى المتكلمون بما
وقع اليهم ففسخوا ، ولولا ذلك لاستقصىنا القول فيه

وتولى الباقلائي القضاء ، وعنى بالتدريس ،
وتخرج على يديه كثير من التلاميذ ، امثال القاضي محمد
ابن عبد الوهاب المالكي ، وموسى بن عيسى
المفتحي ، وعبدالله بن احمد الهروي ، وعلى بن
عيسى السكري الشاعر ، ورامع بن نصر البغدادي ،
والحسين بن حاتم الأزدي ، وابو عبيد الرحمن
السلمي ، وغيرهم .

وكانت للباقلائي حلقة دراسية عظيمة في بغداد ،
وكان ينزل الكرخ ، ويرى بعض العلماء — مثل ابي
الحسن علي بن المسلم — ان الباقلائي كان المجدد على
راس المائة الرابعة ، وقد اشار جلال الدين السيوطي
الى هذا حين قال في منظومته : « تحفة المهتدين باخبار
المجددين » :

والباقلائي رابع ، او سهل ، او

الاسفرائني خلفه قد حكوا (٣)

واضفى المؤرخون والكاتبون على الباقلائي القبا
كثيرة تدل على علمه وفضله ، فهو : القاضي الاسام
العلامة ، اوحد المتكلمين بقدم الاصوليين ، سيف السنة
شيخ السنة لسان الامة ، شيخ المالكيين في وقته ،
عامل عصره ، المرجوع اليه فيما اشكل على غيره ،
اوحد وقته في فنه ، مجدد الدين على راس المائة
الرابعة .. الخ .

وقيل في الباقلائي كلمات كثيرة تفيض بالمدح
والثناء ، وهذه طائفة منها مصدرة يساهم تأليفها :

١ — صاحب بن عباد : « الباقلائي بحر مغرق » .
٢ — الخطيب البغدادي : « كان الباقلائي ثقة ،
وابا الكلام فكان اعرف الناس به ، واحسنهم
خاطرا واجودهم لسانا ، ووضحهم بيانا ، واصحهم
عبارة » .

٣ — الذهبي : « كان بحق اباما بارعا » .
٤ — القاضي عياض : « كان حسن الفقه ، عظيم
الجدل » .

٥ — ابن العباد : « اوحد وقته في فنه » .
٦ — ابن تيمية : « هو افضل المتكلمين المنتسبين
الى الاسفري » .
٧ — ابن خلكان : « كان موضوعا بجودة الاستنباط
وسرعة الجواب » .

٨ — الصفيدي : « كان ثقة عارفا بالكلام » .
٩ — ابن عمار المورقي : « كان ابن الطيب مالكا
فاضلا متورعا ، ممن لم تحفظ عليه زلة قط ، ولا نسبت
اليه نقيسة » .

ومع هذه الكلمات السواطع في مدح الباقلائي كان
هناك من يحسده ويحقد عليه ، وكان هناك من يحرف
كلامه ، وينسبه الى الابتداع ، وكل بارز في ميدان له
من الفترين عليه ، ما يثير الانجنان ، وكان اشد الناس

في كتابنا» .

وقد لاحظ الراعي على الباطلاني هذه الملاحظة حيث قال عنه : « والغريب انه لم يذكر فيه كتاب الواسطي ، ولا كتاب الرامي ، ولا كتاب الخطابي الذي كان يعاصره ، ويستشير اليه ، وأوما الى كتاب الجاحظ بكتبتين اخير فيها مكانه هو ابتداء التأليف في الاعجاز بها بسط في كتابه واتسع » (٨) .

ويذكر لنا الباطلاني ما نفهم منه انه لا يريد ان يكرر قولاً سبق ، او يعيد كلاماً في الاعجاز تقدم ، فنسرد يقول : « ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا ، ونشير اليه ولا نبسط القول ، لئلا يكون ما الفناه مكرراً ومقولا ، بل يكون مستفاداً من جهة هذا الكتاب خاصة . وما يتصل بهذا من قرب اتنا نجد الباطلاني يعتذر عن ايجازه في كتابه ، فيقول هذه العبارة : « قد ذكرنا في الابانة من معجز القرآن وجيزاً من القول ، رجونا ان يكفي ، واملنا ان يقتنع ، والكلام في اوصافه — ان استقصى — بعيد الاطراف ، واسع الاكتاف ، لملو شأنه ، وشريف مكانه . والذي سطرناه في الكتاب ، وان كان موجزاً ، وما امليناه فيه ، وان كان خفياً ، فانه ينميه على الطريقة ويدل على الوجه ، ويهدي الى الحجة » . ص ٢٩٩ .

والباطلاني يطالب لكاتبه في اعجاز بقاريء على مستوى خاص من الثقافة والمعرفة بالادب والعربية ، فهو لا يكتب للمصالة وانما يكتب للخامسة ، وهو يخاطب من تغنيهم الانارة عن طول العبارة ، ولذلك يقول : « ولسنا نزع ان يكتنا ان نبين ما رمنا بيانه ، وادنا شرحه وتفصيله ، لن كان عن معرفة الادب ذاهباً ، وعن وجه اللسان غافلاً ، لان ذلك مما لاسبيل اليه ، الا ان يكون الناظر فيها تعرض عليهما قصدنا اليه من اهل صناعة العربية ، قد وقف على مجمل من حسان الكلام ونصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين ، ونظر في شيء من اصول الدين . وانما ضمن الله عز وجل فيه البيان لئلا من وضعناه ، فقال : « كتاب تمملت آياته قرانا عربيا لقوم يعلمون » . وقال : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » . ص ٧ .

وكتب « اعجاز القرآن » للباطلاني ينبغي له ان يعد من كتب الادب : لانه يتحدث — اولاً — عن اكمل نموذج للبيان العربي . واتم صورة للادب المعجز ، وهو القرآن الكريم . وهو بجوار ذلك يتحدث عن الشعر والشعراء ، ويورد الكثير من اشعارهم ، ويورد مجموعة من خطب الرسول عليه الصلاة والسلام ، والكلفاء الراشدين وبلغاء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبعض الجاهليين (ص ١٢٩ — ١٥٣) . وقد تحدث الباطلاني عن الفرق بين اسلوب القرآن واسلوب الشعر . واطال في ذلك النفس ، وترد على

قلبه هنا عبارة تدل على انه يفهم من مضمون الشعر معنى دقيقاً ، يؤيد من يقولون ان الشعر هو دقة الشعور والاحساس ، مع لطافة التعبير والتصوير ، فهو يقول عن اتهام الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم بانه شاعر : « وهذا يدل على ان ما جكاه عن الكفار — من قولهم انه شاعر — وان هذا شعر — لا بد من ان يكون محولاً على انهم نسبوه الى انهم يشعرون بما لا يشعرون به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام ، لا انهم نسبوه في القرآن الى ان الذي اتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يتعارفونه على الاعراض المحصورة المتولفة » . ص ٥١ .

وكتاب الباطلاني ليس كتاباً في بيان اعجاز القرآن فحسب ، بل هو ايضا كتاب نقد ادبي ، وكتاب تحليل لقضايا شعرية مشهورة ، وبيان لما فيها من مواطن الخلل والضعف ، حتى يدل ان اعظم ما قيل من الشعر لا يبلغ حمى القرآن في اعجازه وبلغته ، وقد تناول الباطلاني مثلاً قصيدة : « قفا نيك » لاميء القيس ، واخذ ينتقدها ، ويلاحظ عليها ، ويعدد عيوبها فيها ، واستغرق في ذلك نحو خمس وعشرين صفحة من كتابه (ص ١٥٩ — ١٨٣) .

وقد توافق الباطلاني على تنقده كله ، وقد تختلف معه في بعض هذا النقد ، لشيء من العنف او السطوط عنده ، ولكنك لا تنكر على الباطلاني براعته في النفاذ الساخز وتعداد الملاحظ على هذه القصيدة التي تعد من امثلة القصائد في الشعر العربي .

ولما يكن الباطلاني بتقده قصيدة : « قفا نيك » بل يعود الى استهجان آيات اخرى لاميء القيس (ص ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣) .

وكذلك ينقد الباطلاني قصيدة البحراني التي مطلعها : « اهل بلذكم الخيال المقل — وكان البحراني يمدحها اجود شعر قاله — ويستغرق في هذا النقد اكثر من عشرين صفحة (ص ٢١٩ — ٢٤٠) . وليس المهم هنا رصد هذه العناية بتحليل الشعر وتوجيهه ، مما يؤكد دخول كتاب الباطلاني بين كتب الادب من اوسع الابواب .

وكذلك تعد الكتاب كتاب ادب مقارن ، وكتاب ادب موازنة ، لما فيه من مفاضلة بين قول وقول ، او بين شعر وشعر ، او بين شاعر وشاعر ، كان يقول : « ونحن وان كنا نفضل البحراني ببديهة شعره ، على ابن الرومي وغيره من اهل زمانه — نقدمه بحسن عبارته ، وسلاسة كلامه ، وعذوبة الفاظه ، وقلة تعدد قوله » ص ٢٤٣ .

ويعرض علينا كتاب الباطلاني كثيراً من مسائل البيان والبديع ، ويورد كثيراً من روائع النثر والنظم

التي تضرب أمثالا للاستعارة ووجوه البلاغة والوان
البديع (ص ٦٦ - ١١١) .

وجوداً ، ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً .
ص ٢٧٧ .

وهذا هو جار الله الزمخشري يتعرض في تفسيره لهذه الآيات فيقول فيها يقول :

« سلخ جلد الشاة : اذا كسله عنها وازاله ، ومنه سلخ الحية لغرسانها(٩) ، فاستعمل لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملق ظله . » « يظلمون » : داخلون في الظلام ، يقال : اظلمنا ، كما تقول امتينا وادجيننا . (يستقر لها) : لحد لها مؤقت بقدر تنتهي اليه من ملكها في آخر السنة ، شبه بمستقر المسافرين اذا قطع مسيرة ، او لمتى لها من المشرق والمغرب ، لانها تنقصها مشرقا ومغربا ، ومغربا مغربا ، حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع ، فذلك حددها ومستقرها ، لانها لا تعدوه ، او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب ، وقيل مستقر لها اجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة ، وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة .

وقريء : تجري الى مستقر لها ، وقرا ابن مسعود : لا مستقر لها ، اي لا تزال تجري لا تستقر ، وقريء : لا مستقر لها ، على ان لا يعنى ليس . « ذلك » الجري عن ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجها ، وتحتير الانفهام في استنباطه ، ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور ، المحيط عليها بكل معلوم . . . (١٠) .
والرمانى قد قال قبل الباقى ان كليلة « نسلخ » في الآيات السابقة : « نسلخ : يستعار ، وحقيقته : نزع والاستمارة ، بلغ ، لان النسلخ الخراج الشيء مما لا يسه ، وعسر انتزاعه منه لالتحابة به ، فكذلك قياس الليل (١١) » .

فليت الباقى قال شيئا مثل هذا وهو يتحدث عن الآيات الكريمة السابقة .

ومن المآخذ التي تؤخذ على الباقى انه توهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذم السج لان رجلا قد قال امامه : « انغم من لا اكل ولا شرب ، ولا نطق ولا استعمل ، فمثل هذا يطل » ورد عليه الرسول قائلا : « اسجد كسج الجاهلية ؟ » . ثم رتب الباقى على ذلك رايه له هو القول بنفي السج عن القرآن الكريم .

وكلام الرسول السابق ليس نسا في ذم السج ، لانه استنكر نوعا معينا منه ، فقال : « اسجد كسج الجاهلية » ؟ ولو كان الذم موجها الى السج كله لقال : « اسجد » ؟ ونحن نعرف ان الرسول قد اتى بكلام مسجوع ، كقوله : « ايها الناس انشوا السلام ، واطموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » . وكان الأولى بالباقي ان يقول ان السج منه رديء يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السج ، وهذا هو

المذموم ، ومنه ما يتبع فيه اللفظ وموقعه الرائع ، وهو مع ذلك تابع للمعاني ، وهذا هو المأمود (١٢) .

ومن المآخذ التي تؤخذ على الباقى انه نقل الكثير من كتاب علي بن عيسى الرمانى ، واكتفى في صدر نقله بقوله : « ذكر بعض اهل الادب والكلام ان البلاغة على عشرة اقسام . . . ثم نقل الباقى عقب ذلك فصلا طويلا بابتدائه من كتاب الرمانى ، وقد احسن محقق كتاب الباقى حين ذيل كل مقال نقله الباقى بما قاله الرمانى فيه (١٣) .

وقد يكون من وضوح الرؤية الذي تكبل به صورة الحكم على كتاب « اعجاز القرآن » للباقى ان نستعرض ما قاله فيه مصطفى صادق الرافعى في كتابه « اعجاز القرآن » :

« على ان كتاب الباقى - وان كان فيه الجيد الكثير ، وكان الرجل قد هدبه وصفاه وتصنع له - الا انه لم يملك فيه بادرة عابها من غيره ، ولم يتحاش وجهها من التاليف لم يرصه من سواء ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : (لم يكشف عما يلتبس في اكثر هذا المعنى) . فان مرجع الاعجاز فيه الى الكلام ، والى شيء من المعارضة البانية بين جنس وجنس من القول ، ونوع واخر من فنونه ، وقد حشر اليه امثلة من كل قبيل من النظم والنثر ذهبت بآثره ، وغربت جملته ، وعدعا في محاسنه وجهي من عيوبه . »

« وكان الباقى - رحمه الله واثابه - واسع الخيلة في العبارة ، ببسوط اللسان الى مدى بعيد يذهب في ذلك بذهب الجاحظ ويذهب بقلده ابن العميد ، على بصر وتمكن وحسن تصرف ، فجاء كتابه وكأنه في غير ما وضع له ، لما فيه من الاغراق في الحشد ، والمبالغة في الاستعانة ، والاستراحة الى النقل ، اذ كان اكبر غرضه في هذا الكتاب ان يبين على الطريقة ، ويدل على الوجه ، ويهدي الى الحجة) . وهذه ثلاثة لو بسطت لها كل علوم البلاغة وفنون الادب لوسعتها ، وهي مع ذلك حشو ووصل . »

« على ان كتابه قد استبد بهذا الفرع من التصنيف في الاعجاز ، واحتل المنة فيه بجملتها من الكلام والعربية والبيان والنقد ، ووفى بكثير مما قصد اليه من امهات المسائل والاصول التي اوقع الكلام عليها ، حتى عدوه الكتاب وحده ، لا يُمسك العلماء معه كتابا اخر في خطره ومنزلته ، وبعد غوره واحكام ترتيبه ، وقوة حجته وبسط عبارته وتوثيق سرده ، فانظر ما عسى ان يكون غير ما سبقه او تلاه . »

« وما زاد الباقى - رحمه الله - على ان ضمن كتابه روح عصره ، وعلى ان جعله في هذا الباب كالاستمحت للخواطر الوائية والهمم المتائلة في اهل

التحصيل والاستيعاب ، الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب ، ولم يغفلوا عن وجه اللسان ، ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيونه ، ولم يضلوا في مذهبهم وفنونهم ، حتى قال : (ان الناقص في هذه المنفعة كالخارج عنها ، والشادي (١٤) فيها كالبائس منها) .

« وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهده ، ولم يبلغ منها الاستنباط العلمي ، ولم تجرد فيها الإبهات والأصول ، ككتب عبد القاهر ومن جاء بعده ، فبسط الرجل من ذلك شيئا ، واجمل شيئا ، وهذب شيئا ونحا في الانتقاد بنحو الذين سبقوه من العلماء بالشعر وأهل الموازنة بين الشعراء ، وكانت تلك العصور بهم حفيظة .

« وبالجمله فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع اوفى منه في عصره ، بيد ان القرآن كتاب كل عصر ، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز (١٥) . »
رحم الله الباقلاي خير من كتب عن أعجاز القرآن في بيئته وعصره : في القرن الرابع الهجري ، ورحم الرافعي خير من كتب عن أعجاز القرآن في بيئته وعصره : في القرن الرابع عشر الهجري . وما زال الباب مفتوحا لمؤلفين عن أعجاز القرآن كل عصر ، لان القرآن الكريم كتاب الدهر : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

أحمد الشرباصي

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

- (١) كتاب أعجاز القرآن للرافعي ، ص ١٥ — الطبعة الثالثة .
- (٢) كتب بعد الباقلاي كثيرون في الإعجاز ، منهم فخرالدين الرازي الموفى سنة ٦٠٦ . وابن أبي الأصم الجوفى سنة ٦٥٤ وهذا من رجال العصر العباسي الثاني ايضا .
- (٣) المجددون في الاسلام ، للصديدي ، ص ١٢ .
- (٤) تجد تفصيل هذا التجريح وتفيده في مقدمة الأستاذ صقر لكتاب الباقلاي ، ص ٥٥ — ٦٢ . وهذه المقدمة تكاد تكون كتابا مستقلا ، لانها تقس في خمس وتسعين صفحة من الحجم الكبير .
- (٥) تكلم في هذا الكتاب عن أعجاز القرآن كلاما واسعا عبقيا .
- انظر مقدمة أعجاز القرآن ، ص ٣٩ .
- (٦) انظر المرجع السابق ، ص ٢٧ — ٤٩ .
- (٧) كتاب أعجاز القرآن ، ص ٦ و ٢٠ و ٢٢ .
- (٨) أعجاز القرآن للرافعي ، ص ١٩٨ .
- (٩) في الصحاح : الغرشاء مثل الغرياء : جلد الحية . وفي القاموس ان الغرشاء — بالكسر — جلد الحية ، وقشر البضة الملبساء والجلدة الرقيقة تركب البهن .
- (١٠) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٨٩ طبعة التجارية سنة ١٣٥٤هـ .
- (١١) أعجاز القرآن للباقلاي ، هامش ص ٢٦٧ .
- (١٢) أعجاز القرآن للباقلاي ، ص ٧٤ من المقدمة .
- (١٣) المرجع السابق ، ص ٢١٢ — ٢٧٦ .
- (١٤) الشادي : المبدئي يقال : شدا من الأدب ، اذا اخذ طرفا منه .
- (١٥) أعجاز القرآن للرافعي ، ص ١٩٨ .

« القضية الفلسطينية في الواقع العربي »

للساذ عوده بطرس عوده

وتدعو ابناء الامة العربية الذين يهيمهم الاطلاع على المؤامرات التي دبرها الاستعمار الغربي ضد وطنهم العربي ، والتضامنه بالمسيونية العالمية على انتفاخ جزء عزيز من وطننا وتنديبه حدية للمسيونية ، ندعوهم الى قراءة هذا الكتاب الساميل قراءة واعية ، ليروا كيف راح الاستعمار العالمي والمسيونية العالمية يتعاونان على تفتيت هذه الامة ، وتجزئتها ، وبحارية اي تقدم ووضع العرائيل في طريقها .

صدر في القاهرة كتاب (القضية الفلسطينية في الواقع العربي) تأليف الأستاذ عوده بطرس عوده . ويتبع هذا الكتاب في أكثر من ٥٥٠ صفحة ، استعرض فيه قضية فلسطين من جذور العدوان عليها . وقد اشتمل هذا الكتاب النفيس على استعراض شامل لتقرير (يانزمان) او (خبراء الاستعمار والدولة الصهيونية) كما يسميه المؤلف . ان مجلة (البيان) تشيد بهذا الجهد الممتاز



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قصة قصيرة

جاء الله ثم موافاة

بقلم : عباس خضر

بينها كيف اجمعه ! واخيرا جاء المبلغ،
الحد لك يا رب ..
سأستريها غدا فنحن الان في
المائة مساء ، والمحل مقول ، غدا
.. قل ان شاء الله .. نعم ان
شاء الله ..
في يوم اخر
اصبحت بنية النفس في حوزتي ..

يعجبني ، بل يفتني .. لا اعبا ، بل
لا اشعر بنظرات صاحب المحل وهو
يتفحصني خفية ليقبس مقدره شرائي
.. يكاد عندما يياس مني ان يقول
لي مستكرا طول وقوفي امام "المقرينة"
ماذا تريد !! ولكنني اتحاشى ان يصل
الموقف الى هذا الحد ، فابضى في
طريقي شاردا للب ، مشغول الفكر

في يوم من الايام
اجتمع لي المبلغ المطلوب : عشرة
جنيهات كاملة ، ثمن الحبيبة التي
اسرتني .. كم وقفت امامها اتأملها
.. اطيل الوقوف وانما ماخوذ
بمفاتنها .. لونها البني المحروق ،
وملمسها الذي لم ابائشره بعد ..
لا بد انه ناعم حنون .. كل شيء فيها

نظرة على اشياء اخرى لعلها سرقت
هي ايضا ، فوجدت كل شيء في
مكانه . سقط قلبي الى قديمي ،
وشعرت بدوار ، ونهاويت على السرير
بينطووني وحذائي .. يالله ! هل
ذهبت الجاكete .. فقدت الامنية التي
اصبحت حقيقة في واقعي بعد ان
عاشت في خيالي اياما واسابيع ..
بل كانت في اعماقي منذ العام الماضي
وانا ارى مثلا على بعض الشبان ..؟
وانى لي بشراء غيرها والله يعلم كم
تأسيت وحرمت نفسي من اشياء
للحصول عليها ..؟

ثم جمعت قواي وقمت ، وناديت
البواب ، فجاء الي يسبقه صوته :

— اين انت ؟

— ههناذا .

— لا اتصد الان .

— ماذا تقصد ؟ دعنا من هذا ،

جاكيتي سرقت .

— انا اعرف ..

صحت مندعشا ، وقد خف عني

وقع المصاب لما لمحته على وجهه

من امارات اعتزاز بعمل شيء مفيد :

— انت تعرف ..؟

— نعم . اسبح ياسيدي .

وقص على الحكاية ، وكان وقعها

على اليها ، وكانت قائمها غريبة

حتى شككت فيها ، ايمكن ان اصديق

ان صديقي « صلاح » جاء في هذا

الصباح بعد ان خرجت وفتح الشقة

بالمفتاح الثاني الذي اعطيته له .. نعم

اعطيته له حتى اذا جاء مرة ولم يجديني

فتح ودخل ، فهو صديقي الذي

يؤنسني ولا يبدو لي منه الا الاخلاص

وصافي الود . وهو مسكين لا يستطيع

الاستذكار في مسكنهم لكثرة اخوته

وضيق المسكن ، وهو رقيق كالنسيم ،

يستذكر معي ، اقصد في المكان لا

المشاركة في الاستذكار ، فانا افضل

الانفراد في دروسي ، يستذكر معي

فلا اشعر بقلقه منه ، اذا رأيته مبهكا

تركني في الحجرة الوحيدة واخذ مكانه

في الصلاة . وفي اكثر الاحيان يصنع



والخلاء ، ووددت ان اخفي عنه
جاكيتي الجديدة .. وساورتني
مشاعر شتى ، ابرزها الاشفاق
على القلب والسرور المهزوم . وتصورت
الصديق يمر بالمحلات التجارية
ويتأبل في معروضاتها جوربا يتطلع
الى شرائه كما كنت افعل في امر
الجاكete !

ومن المشاعر التي ساورتني
احساس بالارتياح يدعو الى جداله
على ان يتساح لي ما لا يتاح لغيري ،
وتفكرت الحكمة التي تقول ان الانسان
اذا نظر الى من هو اقل منه يستريح ،
وساورتني ايضا غيظ من ذلك
الاحساس وهذه الحكمة التي تساعده
.. لانه يدل على الاتانية ، فما هو
الا سرور بما ناله ويميز على الاخرين!
ولكن الناس هكذا ، وانا واحد
منهم ..

وفي يوم آخر

وعدت في هذا اليوم عدة وقائع
زالت كياني .. عدت من الكلية
ظهرا الى شقتي الصغيرة التي اسكنها
وحدي ، ولم اجد الجاكete ..
لم البسها اليوم لانني وجدت الجو
مثالا الى الحرارة .. بحثت عنها في
كل مكان وانا واثق من مكانها في
المصان .. الكون علقها هنا او
نسيتها هنا ؟ لا ، لا وجود لها في
الشقة . لا بد انها سرقت ، القيت

نسيت ان اتول لك انها « جاكete
شمواء » .. لا تقل اني طفل يفرح
بشيء تافه ، فاولا ليست هذه الجاكete
شيئا تافها ، انها فاخرة لم البس مثلها
في حياتي . وثانيا .. من ذا الذي لا
يفرح بجديد الثياب مهما كانت سببه
وخاصة اذا كانت « على مزاجه » ..؟
ونسيت ان اتول لك ايضا اني شاب
في العشرين ومطالب في الجامعة بكلفة
الحقوق .. وقد لبستها اليوم وذهبت
بها الى الكلية ، فكننت موضع الانتظار ،
وتهمني بصفة خاصة انتظار الطالبات
.. اتقول انهن تافهات مثلي .. انا
على يقين انك كذلك — ولا تؤاخذني —
تافه مثلسا .. هذا اذا كانت الغبلة
بالحصول على جديد تنهتاه تافهة ،
مهما كان .. خذ مثلا ، اذا كنت
تريد ان تلك سيارة ، واتبع لك ان
تبتلكها ، الا تفرح بها ؟ واي غرق
بينك وبين الطفل عندما يفرح بلعبة
جديدة !

لقيت صديقي وزميلي « صلاح »
في فناء الكلية ، وتوقعت ان يقول
لي : مبروك ! ولكني رأيته واجبا
شارد النظر .. كنت اتول له : هل
انت اعمى ؟ ولكنه استدار عني
متشافلا مع بعض الطلبة ، فلبحت
قدميه من خلف .. الجورب يتساحل
فوق الحذاء البالي يسدو العقب منه
عاريا .. تصاغر شعوري بالزهو

قلتها وأنا في منتهى التأثر .. هل
اعود في كلامي ؟ كلا .

والثقت إلى الحق مصرا :

— انه لم يسرق الجاكete .

— هل انت تدافع عنه ؟

اجبت بعد لحظة تفكير :

— صلاح صديقي ولا يمكن ان

يخونني . ليست هذه اول مرة يلبس

فيها ملابسي .

وانتهجت الى صلاح كانها ابلى عليه

ان يقول ما اتول ويرجع في اقواله :

— هذا يحدث احيانا .. ان ياتي

الى شقتي ويأخذ بعض ثيابي ويلبسها

ثم يعيدها .

قال الحق :

— ولكنه لم يكن لابس الجاكete

عندما راه البواب . كان يلبسها بجريدة

ويحملها .

— هذا لايمه ، كان سيلبسها

وعلى كل فاننا صاحب الشيء

المسروق او ما يتم بسرقتها ، واننا

اقول انه لم يسرق .

— قل ما شئت ، فان هذا لن يخلية

من المسؤولية انك تدرس القسانون

وتعرف ان جريمته ليست اعتداء عليك

وحسبك ، بل هي اعتداء على المجتمع

في شخصك .

وقرر الحق احوالة القضية الى

حكمة الجنايات مع استئجار جيس

المتهم .

وخرجت وأنا بشغول الفكر بالبحث

عن حكام يدافع عن صلاح ، وفكرت

في اجسر الحامي .. وكنت اصيح

مناسيا :

يا من يشترى جاكete شمواء ..

عيسى خضر



هذا لا يعض اليد التي تطعمه !

— هل حدث ذلك .. ؟ لا اصدق !

— انه معترف .

وانقطعت حبال افكاري المتضاربة

حينما رايت يقف امام الحق منكسر

الراس يكساد يسقط من الاعياء .

الحق — هل سرقت الجاكete ؟

صلاح — نعم ..

وهم الحق ان يوجه السؤال

التالي ، ولكن صلاح قال له ضارعا :

— ارجو ان تأذن لي بالجلوس ،

لاني لا استطيع الوقوف ، وسأشرح

كل شيء .

— اجلس .

— انا استحق الاعداء لا السجن

فقط .. لا اريد ان المسق التهمة

بشيطان زين لي او وسوس الي ..

انا الشيطان نفسه ! ولا اريد ان

اعترف عن جريمتي بالحاجة .. كنت

محتاجا حقا الى نقود ضرورية ولم

اجد وسيلة للحصول عليها غير هذه

الوسيلة ، ولكن كان يجب ان اموت

من الجوع ولا تتدد يدي الى السرقة

وسرقة احدى بالذات . قلت في

نفسي : ان الجاكete شيء كماله له .

ولكن ثمنها ضروري لي ، فحاولت

سرقها لابيمها .

وتهدج صوته ، وسكت قليلا

حتى مسح دموعه ثم قال :

— كانت هذه اول مرة افعلها ..

ترددت كثيرا قبل ان افعل ، لم اتم

في الليلة السابقة للحدث ، واصبحت

في حالة اعياء شديد . كان صبري

يعذبني قبل ارتكاب الجريمة ...

عندما رايت البواب اعتراني اضطراب

شديد ، واستفصلت كانها كتبت اقول :

خونني .. واستراحت نفسي الى

خاطر غريب .. رايت السجن متقدا

لي .. من حالتي ومن جريمتي .

وتباك نفسه وقال محاولا ان

يرفع صوته :

— انزلوا بي العقاب . لست اهلا

لعطف او راحة .

ثم غرق صوته في الشجيع ..

— لا ، انت لم تسرقني !

لنا الشاي ، وهو يجيد صنعه .

وقد عرفه والدي واخي الكبير ، اذ

كانا بريانه معي عندما ياتيان من

القرية ، فاطننا اليه والى باماته .

وكلما ذهبت الى القرية سالاني عنه.

ايمن ان اصدق ما يقوله البواب ؟

لقد ذهلت فلم اتبين كل التفاصيل

التي يحكيها كل ما استطعت التقاطه

من كلامه انه ضبط صلاح بملبسها

بالسرقة .. سرقة الجاكete الحبيبة .

وانه اسلمه الى الشرطة .. واسترعى

انتباهي قوله : ان عصابات اللصوص

الان اصبحت من الطلبة .. فنظرت

اليه عاتبا ، فقال :

— يا اساذ احمد ، ابن الحرام

لم يبق لابن الحلال شيئا .

« ابن الحرام » اراد ان يفجعتني

في الجاكete . ولكن هل صلاح ابن

حرام .. ؟

هكذا سألت نفسي ، فقالت لي :

ياخي . انت امام امر واقع هو ان

صديقك خانك ، وعلى كل حال احمد

الله ، فلم تذهب الجاكete . اما هو

فسيلقي جزاه وليذهب الى الشيطان

استغراق

دخل صلاح غرفة التحقيق ، ولا

بد انه لحني وتحناني ان تلقني

نظرانا . وقد انتابني نحوه شموور

غريب مبهم .. ليته لم يفعل هذه

الفعله ، بل ليته لم يضبط ! لقد

فقدته ولم افقدتها .. هل هذا

كسب ام خسارة ؟

ولكن لا ... هذه خيانة كشفت

عن حقيقته ، ولو لم يضبط بها لظلت

مخدوعا به ، فليل. جزاه ، وليذهب

الى الجحيم .

ولم تقف خاطري عند هذا الحد

فتساءلت :

— ما هي حقيقته التي كشفت

عنها ؟

اجابني صوت نفسي :

— سارت ، انتاري في انه سرق .

وسرقت بالذات .. انت صديقه

الذي اضفى عليه وده وخطه بنفسه

.. كان اقل شائنا من كلب .. لان

قبائل المغرب

عرض و تحليل

الأستاذ عبد الرحيم بن سلامة

كلية الآداب — جامعة محمد الخامس

— ١ —

تلقى خلال شهر رمضان من كل سنة .

وكتاب قبائل المغرب الذي تقدمه للقرّاء العربي هو أول كتاب يصدر للؤلؤ وقد نال به جائزة المغرب لسنة ١٩٦٨ وهي أحسن جائزة تمنحها الدولة المغربية لأحسن تأليف .

والجزء الأول من قبائل المغرب يقع في نحو ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير قسمها المؤلف الى ثلاثة اقسام رئيسية هي :

— في القسم الأول يعرفنا عن وطن القبائل المغربية فيعطينا نظرة

مكثفا بخزانة الكتب السلطانية لجلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ، وكذلك عندما كان رئيسا للديوان الملكي ومديرا عاما للاذاعة والتلفزة وهو الآن مدير لتخف محمد الخامس .

والسيد عبد الوهاب بن المنصور نشر ابحاثا كثيرة عن تاريخ المغرب سواء في المجلات او الصحف كما انه يشارك في المواسم الثقافية التي تنظمها وزارة الثقافة المغربية بالقاء محاضرات يتناول فيها بعض الجوانب العامة من تاريخ المغرب وكذلك في الاحاديث الفنية التي

ظهر حديثا في المكتبة المغربية كتاب — قبائل المغرب — وهو من تأليف الأستاذ عبد الوهاب بن المنصور ، وقد صدر هذا الكتاب عن المطبعة الملكية بالرباط وهي مطبعة حديثة انشئت في السنوات الأخيرة لطبع التراث المغربي والبحوث التاريخية المفيدة .

ومؤلف قبائل المغرب مشهور باهتمامه وولعه بالبحوث والدراسات التاريخية التي تتعلق بالمغرب ، فقد امله عمله هذا بان ينال لقب مؤرخ المملكة المغربية نظرا لفته التي يتمتع بها منذ ان كان

جغرافية عامة عن بلدان المغرب العربي التي سكنتها القبائل ، سواء في ليبيا أو تونس أو الجزائر أو المغرب .

— وفي القسم الثاني نجد المؤلف يسرد لنا بدقة واقتان مراحل مصور التاريخ المغربي ابتداء من دولة قرطاجنة البونيقية الى العصر الحديث مبرزا اهم القبائل التي تعاقبت على الحكم . وهكذا يقدم لنا — في صفحات قليلة ولكنها مفيدة — تاريخ الدول والامارات التي مارست الحكم ببلدان المغرب الكبير ابتداء من الادراسة في المغرب الى الدولة الرستمية في الجزائر الى الدولة الاغلبية او العبيدية او الزيرية الصنهاجية في المغرب الاذن كما سنفصل القول عنها ضمن هذا العرض الوجيز .

— اما القسم الثالث وهو القسم المهم من الكتاب فقد خصصه المؤلف للتعريف بالمغاربة القدماء وهؤلاء هم البربر الذين قدم عنهم دراسة تاريخية يستحق عليها كل شكر وتنويه ، وهذا القسم من الكتاب هو الذي يغيد القارئ اكثر من القسمين الاولين ، ولذلك سنعمل على تحليل اهم فصوله .

والكتاب الى جانب هذه الاصنام الهامة التي يحتوي عليها ، هناك فهراس ثلاثة ، الاول منها للاعلام الجغرافية ، والثاني للاعلام الانسانية الفردية ، والثالث للاعلام القبلية والجنسية . وهذه الفهراس نظمت تنظيميا بديعا حسب تسلسل ابدي هيجاني ليسهل على الباحث تصنيف الاعلام ، فيمكن الرجوع الى قسم الفهراس لمعرفة اسم الشخص او المدينة او النهر او الجبل او المكان الخ ..

واذا تصفحنا الكتاب فاننا نعر في الاول على مقدمة حررها المؤلف بأسلوب سلس ومركز جال فيها الظروف التي كونت هذا الكتاب ،

وهكذا نجده يقول عن القبيلة : احتل النظام القبلي مكانا مرموقا في الحياة العملية للاقطار المغربية واستمر يحتلها ويطيحها بطابعها الى عهد قريب ، فخلال قرون طويلة كانت القبيلة هي المحور الذي تدور عليه فيها جميع الحركات السياسية والقطبات الاقتصادية والتطورات الفكرية والاجتماعية .. وكانت القبيلة هي اعلى قمة في النظام السياسي والاجتماعي الذي عرفه البربر سكان المغرب الاولون قبل الاسلام ...

كان لكل قبيلة محيطها الخاص الذي تعيش فيه وتنقلب منزلة عن غيرها من القبائل او شبيبة بالمنعزلة . كان للقبيلة عند البربر في الماضي ما للوطن من معنى عند الامم والشعوب في العصر الحاضر .. واعتنقوا الدين الذي جاءوا به اليهم واقتبسوا اللغة التي سمعهم يتكلمون بها ، واخذوا عنهم كثيرا من قواعد الحضارة ونظم السياسية ، وساروا واباهم يتحوتون الاقطار ويقيمون الدول .

ثم يقول المؤلف : « ولقد لفت نظري منذ ثلاثين سنة خلست اهمية الادوار التي لعبتها القبائل فوق مسرح السياسة والحكم في كل مرحلة من مراحل تاريخ المغرب الطويل ، فقد كانت القبيلة تمثل باستمرار امام عيني خلال مطالعاتي التاريخية ، فحداني ذلك الى البحث عن انساب القبائل المغربية واصولها والتقسيم عن شبيبة وفروعها والتعصب على اعرافها وعاداتها وتحديد مواطنها ومجالاتها ، وتتبع خطاها وهي تنتقل في دروب المغرب الطويلة .. فقد تنبعت القبيلة الواحدة من اقدم عصور التاريخ الى عصرنا الحديث فوجدتها مشتب في ملكاب «المغرب وتبوات من جنباته حيث استطابت الغمام وخلفت في كل بقعة من بقاعه بطنا من بطونها او عشيرة من عشائرها . فكل من اقطار المغرب

الاربعة : هواراة ولواتة ، وصنهاجة وزناتة ، ومطاطبة ، ومغراوة ، وبكناسة ، وككاسة ، وهلال ، وسليم وديباب ، ودليم ، وبعد هذه ابحاث ودراسات كتبها عن قبائل المغرب الكبير وشمس النظام القبلي فيه على اطراف النخيل ، فقد حلت فكرة المواطنة ذات المدلول السياسي الواسع وفكرة الجماعة (La Commune) ذات المدلول الاداري والاقتصادي والاجتماعي الضيق محل العصبية القبلية الموروثة من المصور الانسانية البدائية . غسياتي يوم تندفرغ القبيلة بالمرآة كما اندثرت في الاقطار المنحصرة والشعوب المتطورة وتبقى حلقها العنبرة او الجماعة التي يرتبط افرادها برابطة المصلحة المشتركة والمنفعة المتداخلة لا برابطة القرابة النسبية . »

بعد هذه المقدمة التي يشرح فيها المؤلف محتويات كتابه ينتقل بنا الى الجانب الجغرافي حيث يقول بانها لا نماسة لن يبريد الكلام عن قبائل المغرب من التحدث اولا عن وطنها وهكذا نجده يعطي تفاصيل عن شمال افريقيا ولا سيما الاسماء التي كانت تطلق عليه ، فالليونان اطلقوا في الاول كلمة — ليبيا — على شمال القارة الافريقية والرومان اطلقوا في البداية كلمة — افريقيا — على منطقة تكاد تعادل الشمال الشرقي للجمهورية التونسية حاليا ومنذ الفتح الاسلامي اطلق العرب على شمال افريقيا اسم — جزيرة المغرب — بلاد المغرب — او المغرب مختصرا ، وفي المصور الوسطى اطلقت الدول الأوروبية البحرية على المغرب اسم — بارباريا — وعلى اقطاره — الولايات البربرية — نسبة الى سكانه الاولين كما سماه الجغرافيون الأوروبيون خلال القرن الرابع عشر الميلادي — بافريقيا الصغرى — او البلاد الاطلسية

ب.م. — والفينيقيون شعب
كنعاني سامي ينتسبون الى وطنهم
— فينيقيا — الواقعة في ساحل
الشام بين جبل لبنان والمحاذية
للبحر .

وقد ذكر المؤلف بتفصيل كيف
دخل الفينيقيون الى المغرب بزعامة
الاميرة — جونو — ارملة اسيراس
رئيس كهنة صور التي فرت من
ظلم اخيها واسست دولة لها
بقرطاجنة الموجودة حاليا بتونس
قرب المرسى .

ثم عرف بزيايا الحكم القرطاجني
السمح ، فخلال قرنين ونصف تقريبا
من — ٨١٤ ق.م. الى ٥٧٤
ق.م. — كانت قرطاجنة اكبر مركز
تجاري فينيقي بغرب البحر المتوسط
ينفذ السياسة التي يخطها حكام
صور العاصمة ولكن في الوقت
الذي كان فيه الفينيقيون يمارسون
حكمهم بقرطاجنة كان اليونانيون
يسيطرون على برقة وليبيا وبلاد
الغال — اي فرنسا — وجزيرة
كورسيكا واطالية الجنوبية ، وقد
كان التنافس قويا بين القرطاجنيين
واليونانيين على المواقع البحرية
وادي الابر الى نشوب خلافات
وحروب كانت قرطاجنة تربص فيها
الذوائر للاغريق .

اما الحكم الروماني فقد قال
عنه المؤلف انه كان بداية اتصالهم
بالبلاط المغربية في القرن الرابع قبل
الميلاد فحكوا من — ١٢٦ ق.م.
الى ٤٢٩ ق.م. — وكان نفوذهم
يزداد كلما ازدادت روما قوة ونظما
الى ان نشأت بينهم وبين قرطاجنة
منافسة ادت الى نشوب الحروب
البونيقية التي انتهت بتخريبها سنة
— ١٤٦ م. —

ويعتد المؤلف بان الرومان لم
يكونوا في اول الامر يفكرون في
الجلول محل قرطاجنة بجميع البلاد
المغربية فقد اكتفوا في الاول باحتلال
الاراضي الجاورة لقرطاجنة ووصلوها

القديمة ونوعها وما انقضى منها وما
بقي ونوع المعادن التي كانت في
المغرب قبل الان وما اكتشف فيها
حديثا ، ومن هي القبيلة او القبائل
التي علت على صيانة المغرب
العربي ايام كان مهددا من قبيل
اجناس وامم مختلفة ، وهل القبائل
المغربية كان افرادها يتجيبون بكثرة ام
لا . وكما كان عدد سكان المغرب
قديميا وكيف أصبح عددهم نتيجة
التضخم الديمغرافي الخ .. فمثل
هذه المعلومات قد تفتيد القارئ
وتجعله مهتما بدراساتها . اما مجرد
تقديم معلومات عن طبيعة المغرب
وسكانه فقط فظاهر ان ذلك لا يفيد
لا المؤلف ولا القارئ في شيء ،
ولذلك فانا فضلنا ان اقلب صفحات
هذا الباب الجغرافي من الكتاب دون
ان اقدم منظورا منها معتمدا للقراء
وللمؤلف الفاضل لان عرضا كهذا
لا يمكن ان يستوعب جميع موضوعات
الكتاب .

— ٢ —

في الجزء التالي من الكتاب نقرا
بتفصيل بعض المعلومات التاريخية
للمغرب — عصر ما قبل الاسلام ،
والعصر الاسلامي ، الى العصر
الحديث وقد ذكر السيد المؤلف انه
لم ينو التناول في التاريخ لانتظار
المغرب الاربعة ، لان هذا عمل من
الصعب ان يقوم به فرد وحده او
يستوعبه عمر انسان ، ثم شرع
يستقي اخبار الدول مبتدئا بمصر
ما قبل الاسلام من — ٨١٤ ق.م.
الى ٦٤٣ ب.م. — وهذا العصر
الذي يشتمل على تاريخ الفينيقيين ،
والرومان ، والوندال ، والزنطين
ثم العصر الاسلامي والامارات
البربرية وهي امارات متشعبة جدا .
يقول بان تاريخ المغرب يبتدىء
بحجاء الفينيقيين اليه واستقرارهم
بسواحله وانشائهم لدولة قرطاجنة
العظيمة التي تعتبر اول دولة حكمت
فيه من — ٨١٤ ق.م. الى ١٤٦

اشعارا باهميته الجبلية . وهكذا
تعددت الاسماء ، فاصبح المصطلح
عليه في الوقت الحاضر — المغرب
العربي — او المغرب الكبير — .
وقد قدم المؤلف في نحو تسعين
صفحة نظرة جغرافية مفيدة عن
بلدان المغرب الاربعة محلا محدود
كل قطر ومساحته وعدد سكانه
ومناخه وطقسه وجباله وسواحلنه
وانهاره ونباتاته وثروته الطبيعية
وصناعاته وموارده وتجارته الداخلية
والخارجية وكذلك دخل كل قطر
الفردى والجماعي وامكانيات الدولة
بالتبويض الاقتصادي والسياحي
الخ ...

والهم في هذا القسم الجغرافي
الطريقة التي سلكها المؤلف في
البحث حيث قسم الموضوعات المتعلقة
فيه بالناحية الجغرافية الى اربعة
اقسام فجعل لكل قطر من اقطار
المغرب بابا مستقلا مفصلا فيه كل
ما يتعلق بجغرافية ذلك القطر ،
وانا بالرغم عن اعجابي بما قام به
المؤلف من اعمال مضمينة لتزويد
القارئ بمعلومات دقيقة عن
جغرافية المغرب الكبير فانتني ارى
بان تسعين صفحة التي استغرقتها
القسم الجغرافي من الكتاب كان
من الممكن تخصيصها للناحية
الحضارية عند القبائل او على الاقل
التوسع في بعض الجوانب التاريخية
التي تطرق اليها المؤلف بشكل
سريع غير عليها من الكرام ، لان
القارئ الاصيل لا يهمل الجانب
الجغرافي في موضوع قبائل المغرب
بقدر ما تهتم معرفة الحقائق
التاريخية عنها منذ العصور الاولى
لميلادها حتى الان ، ثم ان المعلومات
الجغرافية التي زودنا بها المؤلف
معلومات حديثة جدا فهي معلومات
مدرسية لا اقل ولا اكثر ، وكان
عليه ان يكتب لنا عن طبيعة
المغرب القديمة وكيف كانت
الحدود الاصلية وشكل النباتات

على الإمارات الوطنية بحدودها وهي عبارة عن خندق يمتد من طبرقة الى ناحية صفاقس والقحوة تحت اسم — افريقيا — بالجمهورية الرومانية ، ولم يكن الحكم الروماني سمحا ولا بتساهلا كالحكم القرطاجني بل كان حكما قاسيا ينقسم بالطفرسة والطفيان ، كما كانت سيرة الحكم الرومانيين فاسدة وسلوكهم سيئا ولذلك ناصبتهم الإمارات والقبائل البربرية العداء وشنت عليهم الهجمات ومن اشهر مقاوميه — من البربر — القائد البطل يوغرطة حفيد الملك (ميسيتيسا) فقد قاد الثورة ضدهم سنة ١١٠ ق.م. وهزمهم قرب مدينة — قاله — في المعركة الشهيرة بواقعة — سوتول — ولكن لكثرة الهزائم التي اوقعها بهم هذا البطل « يوغرطة » اغروا صهره « بوكوس » ملك موريطانيا الذي اعتقله سنة ١٠٦ ق.م. وسلمه اليهم فذهبوا به الى روما حيث بقي بها حتى مات اسيرا في احدى سجونها سنة ١٠٤ ق.م. وقد كافأ الرومان بوكوس بالحقاقي نوميديا بمملكته الموريطانية وقد ظل بوكوس وفيما لروما رغم الهزات العنيفة التي تعرض لها عرشه حتى مات وتوارث ولداه يوغود — وبوكوس الثاني مملكته حكم الاول القسم الغربي من عاصمته تنيجيس — طنجة — والثاني ما وراء ملوية شرقا الى حدود افريكا الرومانية . وقد كان الخلاف بين الاخوين حادا الى درجة جعلت احدهما وهو بوكوس الثاني يقتل يوغود ويضم مملكته الى حكمه ، وخلال تلك الاضطرابات ، كان الرومان يقومون بنوذهم ببلاد المغرب حتى فرضوا سيطرتهم وقسموا المغرب الى ثلاث ولايات هي افريقيا، ونوميديا ، وموريتانية ولما وضع الابرار طور كلوديوس بلاد المغرب تحت الحكم الروماني الباشر اطلقوا

عليها اسم موريطانيا وقسموها الى موريطانيا قيسرية — وتشمل الجزء الشمالي من ارض الجزائر وتونس — وموريتانية طنجة — وتشمل الاراضي الواقعة بين وادي ملوية والبحر المتوسط — وكانت العاصمة الرومانية الاولى بالمغرب هي — عوتيقه — التي تولى عليها الولاة منذ عهد كلوديوس الى كومود الذي كان متعجرا بلدا .

واذا قلنا الانسان — يقول المؤلف — نظرة عابرة على الوجود الروماني ببلاد المغرب وما كان له فيها من آثار ، فسرى ان الحكم الروماني لم يشملها جميعا وانما كان قاصرا على السواحل والمناطق المجاورة لها بقيت معظم البلاد المغربية — ولا سيما المناطق الجبلية — بحريتها واستقلالها بينما خضع الجزء المحتل لنظام عسكري تصنفي يهدف الى استغلال المغرب واغناء روما من خيراتهما وهواله .

ويعد ذلك انتقال المؤلف للحديث عن الحكم الفندالي الذي دام من ٤٢٩ م الى ٥٣٤ م فقل بأنه شعب قديم من شعوب الامة القوطية الغربية التي سكنت شمال نهر الدانوب ، وقد عبروا المغرب وبعد سنين من عبورهم اسسوا بالمغرب دولة ملكية سنة ٤٣١ م فاستولوا على ولاية تونس — البوفنصالية — ودخلوا قرطاجنة سنة ٤٣٩ م وكان الفنداليون اثناء زحفهم على الشمال الافريقي ومطاردتهم لفلول الجيش الروماني يخربون المباني ويحرقون الزروع ويقطعون الاشجار كما كانوا يطردون اتباع مذهب دونات (Dénat) ولذلك تقترب ذكريات حكمهم بصور الخراب والدمار حتى صار اسمهم نفسه يدل على الهمجية والوحشية، وقد انشأ الفنداليون دولة ببلاد المغرب توارث عرشها ستة ملوك ال خنسريق وكانت عاصمتهم الاولى مدينة هيونة — غنابة — ثم انتقلوا

الى مدينة صلاي — بجاية — ولم يكن نفوذهم يشمل بلاد المغرب بأسرها فقد نجت منهم موريطانيا الطنجية — بالمغرب الأقصى — ولم يخلد الفنداليون بالبلاد المغربية اي آثار تذكر .

ثم تطرق الى الحكم البيزنطي الذي دام من ٥٢٤ الى ٦٤٣ م فقال بانهم ينتسبون الى بيزنيس رئيس الماغرين مؤسس مدينة بزنطة التي جدها قسطنطين الكبير واتخذها عاصمة له ثم سماها الاتراك العثمانيون بعدما فتحوها في ١٥٠٥ ب — اسلام بول : استقبلوا — والبيزنطيون هم مزيج من الرومان واليونان والسلاف واللاتين ، وبالرغم عن عبورهم واستقرارهم في الجزائر وتونس فلم يثبت لهم وجود بالمغرب الاقصى الا ما افتراه بعض المؤرخين من كونهم وصلوا الى سبتة .

— ٣ —

ثم انتقل المؤلف الى العصر الاسلامي ابتداء من ٦٤٣ م الى ١٨٣٠ م فوجدناه يقول عن اصل العرب : هم من شعوب الامة السالية ومن اقدم الامم وجودا واعرقها اصولا . ولفتحهم لغة غنية جميلة غزيرة المادة تساعد على التعبير عن لطف خلجات النفس وادق المحسوسات وتبل ان يغوص في تاريخ بلاد المغرب بعد الفتح الاسلامي اعطى نظرية موجزة عن الحياة في الجزيرة العربية قبل الرسول — م — وبعده وكيف انتقل الاسلام منها الى جميع اطراف العالم العربي ولا سيما الى المغرب على يد المولى ادريس الاكبر مؤسس اول دولة اسلامية عربية بالمغرب الاقصى وحيث ان تاريخ الدولة الادريسية اشهر من ان يعبرف ، فلاننا ارتائنا ان نختصر القول عنه بان الادارسة استطاعوا ان ينشروا الاسلام بربوع المغرب بسهولة بين سكانه الاصليين بربر قبائل الاطلس من ٧٨٨ الى ٩٨٥ فكانت المملكة

الذي خاد ذكره في تاريخ المغرب هذا الذكر الذي يقترن بالمرابطين العظيم في الحياة السياسية والاجتماعية .

ومن المرابطين ينقلنا الى عهد
الموحدين الذي دام من ١١٤٧ م الى
١٢٦٢ م مبتدئا بالتنصيص على اثر
الفقيه الموحي المهدى بن تومرت
— الهرغي — الذي قضى عشر
سنوات طالبا للعلم في المشرق وعند
رجوعه التقى بالفتى عبد المومن بن
علي الكوي الذي توسم فيه الذكاء
والنجاحة فاصطحبه معه الى بلاده
فكان واعظا في المساجد المغربية
والاسواق فاقبلت عليه العابة وبعد
وفاة المهدي ، تولى الملك عبد المومن
الذي بسط نفوذه على المغرب وركز
اسس الدولة الموحدية وجعل مراكش
عاصمة ملكه ، وقد كان عهده عهد
اصلاح ورخاء وبعد وفاته ببيع ابنه
المغلب بالمعسكري الذي بذل جهودا
كبيرة في الدفاع عن الإنطلس الاسلامي
حتى استشهد في الزناتل بتبوع ابنه
المغلب بالمصور الذي بلغت الدولة
الموحدية في عهده اوج عظمتها فهو
الذي ادخل المغرب الهلاليين الى
المغرب واتم بناء مدينة الرباط وهزم
الاسبانيين عند حصن الارك وازدهرت
في عهده الثقافة وانتشر العمران
وبعد انتهائه من الاطراء بعهد
الموحدين ذكر بان المرنيين حكموا
من ١٢٧٠ م الى ١٤٦٥ م وان موطنهم
الاصلي كان بتيهت وتليسان الى
الجنوب الشرقي من المغرب الاقصى
وكان زعيمهم الاول عبد الحق بن
محيو فلما توفي توارثها اربعة من
ابنائها اشهرهم يعقوب بن عبد الحق
الذي يعتبر اول سلطان مريني
بالمغرب بعد ان تم القضاء على اخر
خليفة من خلفاء الدولة الموحدية
براكش ..

وقد ورث المرينيون عظمة الدولة
الموحدية وبخها ولكنهم لم يعرفوا
كيف يحافظون على ذلك المجد الموحدي

الادريسية مملكة واسعة الاطراف
شملت المغرب الاقصى والتصنيف
الغربي من الجزائر الحالية باستثناء
بعض الامارات الصغيرة كإبارة بني
عصام .

ثم يحدنا المؤلف عن الامارات
الزناتية التي كانت مشهورة بترحالها
وعدم استقرارها في مكان معين ومن
اشهر القبائل الزناتية التي كانت
مشهورة بترحالها وعدم استقرارها
قبائل مكناسة ، وبنو يفرن ، ومغراوة
الاولى كان موطنها في سهول وادي
ملوية او الجبال القريبة من تارة حيث
توجد بعض بقاياها حتى الان فهم
الذين اسسوا دولة بني سدرار
بسجلماسة ، والثانية كان موطنها
الاساسي بافريقيا ثم اصبح ما بين
تليسان وتيهرت ، وقد اشتهر منهم
ابو يزيد مخلد بن كيدان المغربي
الذي ثار ضد العبيدين وهدمهم في
التقراون ، او الثالثة فكان موطنها
بالمغرب الاوسط كسائر قبائل زناتة
الذين كانوا يستقون مذهب الشيعة
فجدهم هو صولات بن وزمار الذي
اسلم على يد الخليفة عثمان بن
عقاف ، ولكن عندما قدم بكسين
الصنهاجي سنة ٩٨٠م - ٣٦٩ هـ
وفتق بزنانة اخرازا مع بني عهمم
البرغينيين الى المغرب الاقصى وكانت
رئاسة مغراوة الت الى زيري بن
عطية الذي استولى على الجبيج
ودخل فاس سنة ٩٨٧ م - ٣٧٧ هـ
وجعلها مقرا لملكه . وبعد تفصيله
لهذه الامارات الثلاث نجده نحصل
تاريخ الدول التي تعاقبت على الحكم
بالمغرب الاقصى كدولة المرابطيين التي
دام حكمها من ١٠٢٨ م الى ١١٤٧ م
فيحكي كيف خرج الفقيه عبد الله بن
ياسين من الصحراء المغربية بقبائل
صنهاجة بعدما نشر فيها الاسلام
وكيف قصد نهر السنغال وتقوم
السودان ليضع حدا للمظالم التي
كانت متفشية هناك وقد شرح بتفصيل
جهاد يوسف بن تاشفين الملك العظيم

لأنهم ايضا لم يعرفوا كيف يحافظون
على وحدة الاطوار المغربية كما لم
يستطيعوا ايقاف الزحف النصراني
على الاندلس وكان من الممكن ان
تبلغ المملكة المغربية في عهدهم بلغا
رفيعا لو ان البلاد سلمت من الثورات
المتوالية والفن المواصل التي كان
يضر ناراها في الغالب امراء البيت
الحاكم التي الذي انهك قوى
المرنيين في حروبهم التي لم تنقطع مع
ملوك تليسان الزناتيين - العبد
الوادين ، تلك الصروب التي
استمرت ثلاثمائة - ٣٠٠ - سنة
فكان الرابع فيها خاسرا ولم يسجل
التاريخ المغربي - دولة سكفت فيها
الدماء وسبق الملوك والامراء والوزراء
- فمن دونهم في المذابح سوق الاغنام
كما سجل ذلك في عهد المرنيين ،
ومع ذلك تعتبر الدولة المرينية من
اعظم الدول المغربية واطولها اياما
ففي عهدها عرف العمران اوجه في
المغرب الاقصى والاسوط من مساجد
ومدارس وحمامات وسنابات التي
بلغت منتهى الروعة والجمال كما
سنت فيها كثير من القواعد الحكومية
والعادات الاجتماعية التي ما زالت
تطبع الدولة والمجتمع المغربي حتى
الآن ، كما ان الفقهاء والعلماء على
عهد المرنيين تركوا ذخائر ما زال
بعضها مدخرا في المكتبات المغربية .

اما بنو وطاس الذين حكموا من
١٤٦٥ م الى ١٥٤٩ م فهم فرقة
من قبيلة بني مرين نامسوا ابناء
عصومهم في الحكم ولكن عهدهم تميز
بالفتن والحروب التي كانت من
اسباب تدهور المغرب واضعافه
ايام الاعداء الذين قويت اطماعهم
عليه . ومن بعد المرنيين والوطاسيين
تألمت الدولة السعيدية الشريفة التي
دام حكمها من ١٥٤٩ م الى ١٥٦٢ م
وهم يحدرون من الشجرة النبوية ،
ولكن خصومهم يتكروم عليهم هذا
الشرف ويقولون بانهم من بني سعد

ابن بكر بن هوزان قدما الى المغرب من ينبوع النخيل بدرعة يقاتلهم سوس والذي نجله عن تاريخ هذه الدولة وهو انها كانت امتدادا للمهد الأخير للبرانيين والوطاسيين المطبوع بالفتن والفوضى والتدهور المادي والجنوي واشتداد التدخل الاسباني والبرتغالي والتركي في الشؤون المغربية باستثناء أيام السلطان احمد المنصور الذهبي الذي امتاز حكمه بمميزات كثيرة . ومن السعديين انتقل المؤلف الى الدولة العلوية دون ان يشرح الظروف العسبية التي تأسست فيها هذه الدولة حيث كان المغرب منقسما بين زوايا وامارات كانت تعيش حالة حروب ونزاعات داخلية من اجل الفوز بالسلطة .

٤ -

بعد هذا العرض الذي تقديمناه عن الدول التي تعاقبت على حكم المغرب الأقصى ننقل الى القسم الذي يحل فيه المؤلف تاريخ باقي دول المغرب الاخرى كالدول التي حكمت المغرب الأوسط - الجزائر - مثل الدولة الرستمية التي حكمت من ٧٧٦ الى ٩٠٩ وهي اول دولة مستقلة اسست في الجزائر بعد الاسلام اسمها القاضي عبد الرحمن ابن رستم الفارسي الاصل ببدينة تيهرت لتكون موطنا للخوارج الإباضيين فوجدوا فيها الطمانينة والامن واشبعوا نهمهم على اقاصم دولة على قواعد مذهبهم فكانت الدولة الرستمية ابرة او امانة لا يتعدى نفوذها اسوار تيهرت . فقد كان يراحمها ادارة المغرب الأقصى ، واغالبية تونس من كل جانب ولكن مع ذلك كان لها بعض النفوذ ولا سيما على الاباضية وكان الرستميون على جانب كبير من العلم والميل الى العدل والرفق بالرعية . اما الدولة الحجابية الصنهاجية فقد حكمت من ١٠١٤ الى ١١٥٣ فتعتبر ثاني امة نظامية نشأت بالمغرب

الاسط بقيادة حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي السذي كان عالما لآخيه باديس بن بلكين امير المغرب الأدنى ، فكانت أيام بنسي حماد على ما صاحبها من فتن واضطراب لم يخل من اعمال عبرانية وثقافية وصناعة حربية وكان ملوك بني حماد على جانب كبير من العلم والادب يعتقدون حلقات السدروس والجالس ويجرد انقراض الدولة الحجابية ظهرت الدولة الزيانية العبد الوادية التي حكمت من ١٢٣٥ م الى ١٥٥٤ م وهي اكبر دول المغرب الأوسط واطولها اياما واحتفلها اعيالا ، اسمها فريق من قبيلة زناتة يدعى ببني عبد الواد وهم اخوة لفريقها الثاني بني مرين ملوك فاس وقد دامت الحروب بين المرينيين وبني عبد الواد ٣٠٠ سنة كانت فرصة للاتراك لغزو بلاد المغرب . وهكذا يحددنا المؤلف عن الحكم التركي الذي دام في المغرب الأوسط - الجزائر - من سنة ١٥١٦ م - ١٨٣٠ م وما حدثنا تحدث عن القبائل المغربية فلا داعي الى ذكر تفاصيل الحكم التركي بالمغرب وان كان من الاهمية بمكان ان نعرف صلة الاتراك بهذه القبائل ومدى الحروب التي دارت بينهم وبين المغاربة في الجزائر اي المغرب الأوسط .

٥ -

وعن دول المغرب الأدنى تحدث المؤلف عن الدولة الاغلبية (من ٨٠٠ الى ٩٠٩) قائلا : « كان ابراهيم ابن الاغلب بن سالم التميمي عاملا على طنجة عندما ثار الناس بالقيروان على والي افريقيا من قبل بني العباس محمد بن مقاتل العكي رضيع هارون الرشيد سنة ٧٩٩ فاستجدد الوالي بالعمال فخرج معهم لقمع الثائرين فماد الوالي منتصرا الى مقر ولايته . واقام ابراهيم اميرا لثنتي عشرة سنة نظمتها امارته وبني القصر الكبير (العباسية)

على بعد ثلاثة اميال من القيروان . . كانت الامارة الاغلبية دولة عربية دما ولحبا ظلت تعترف بالتمعية للخلافة العباسية وكانت حدود الامارة الاغلبية تمتد من طرابلس شرقا الى الزاب كتلة (زواوة) غربا . . وكان امراء بني الاغلب على ولهم بالخبر والقضاء والصيد ، مولعين بالبناء والتشييد فقد اصلحوا مسجد عقبة بالقيروان . ومن بني الاغلب انتقل المؤلف الى الدولة العبيدية (٩٠٩ - ١٧٢) التي تنتسب الى عبيد الله الملقب بالمهدي وهو من نسل الحسين بن الامام علي بن ابي طالب على ما اكده ابن خلدون في تاريخه ، وقد بني فكرة دولته على فكرة المهدي المنتظر التي طالما استعملها الشيعة لجمع الناس حول ال البيت وقد اسهب في تحويل مراحل هذه الدولة التي عاشت نحو ٩٣ سنة وفصل القول في تاريخها . وعن الدولة الزيانية الصنهاجية كتب يقول : « ينتسب ملوك هذه الدولة الى صنهاجة احدي قبائل البربر البرانس ، وكان الفريق الذي ينتسب اليه مؤسسها يسكن ما بين زواوة شرقا وزناتة غربا . . وكانت رئاسة صنهاجة للامير زيري بن مناد باني مدينة اشير التي ما زالت اطلالها قائمة وكانت ايام بني زيري الصنهاجيين في بدايتها امتدادا لايام بني عبيد السنين اسندوا اليهم الامر ورحلوا الى المشرق ، ولكن بني زيري بدأوا يشعرون بضرورة استقلالهم ولم يكن يؤخرهم على الجهر بذلك الا اشتداد الصراع بينهم وبين الزناتيين ملوك فاس ، ذلك الصراع الذي كان تقريبا بين صنهاجة وزناتة اكثر منه دينيا بين شيعيين وسنيين وسياسيا بين العبيديين والروانيين حتى جاء المعز بن بادس فنبذ الدعاء للخليفة الفاطمي ودعا للقتام بامر الله العباسي . . وقد حاول الملوك الصنهاجيون ان يؤسسوا ابراطورية وينجحوا في لحظة معينة في توحيد اقطار المغرب

العربي وجمع شمل سكانه ولكنها كانت لحظات قصيرة لتلها الفقرة والخلاف .

وتعتبر الدولة الحمصية التي دامت من ١٢٢٤ حتى ١٥٧٣ آخر دولة حكمت قبل استيلاء الأتراك فكان الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى جد الحمصيين ملوك تونس كبير قبيلة هننات البربرية و أخذوا العشرة السابطين الى الاستجابة لدعوة الفقيه محمد بن تومرت مهدي الموحدين ومنشئ دولتهم ، وقد أبلى البلاء الحسن في تثبيت دعوتهم وقاد جيوشهم المنطلقة لحروب اعدائهم بالمغرب والاندلس ، ولما توفي سنة ١١٨١ رعى الخلفاء من بني عبدالمؤمن لبسنه سابقة اسرته في الدعوة .. ويعود العصر الحمصي بتونس عمرا خصيبا من الوجهة الفقهية العلمية لكثرة من ظهر فيه من الفقهاء والعلماء وما الف فيه من التكاليف النفسية التي ضاع اكثرها في الثورات والحروب سيما ايام الاحتلال الاسباني وكان لجامع الزيتونة اثر كبير في تكوين اولئك العلماء والفقهاء كما هو الشأن بالنسبة للقرويين بفاس ، ويختتم المؤلف الحديث عن تاريخ المغرب الاذن بتحليلة لحكم الأتراك الذي دام من ١٥٧٣ الى ١٨٨١ وقد فصل القول عن هذه الفترة التي اعتمد فيها مصادر كثيرة سيما وان عهد الأتراك تميز بطابعه التوسعي ونحن نكتفي بهذه الاشارة عن الحكم التركي دون الدخول في التفاصيل لضيق المجال ولوجود مواضيع في الكتاب أكثر تفصيلا كما اننا سوف لا نتناول الفصول المتعلقة بالعصر الحديث لتاريخ المغرب ما دامت هناك مؤلفات كثيرة تؤرخ لهذا العصر .

— ٦ —

بعد هذا التسلسل التاريخي لدول المغرب يأتي المؤلف على ذكر اصل المغاربة القدماء فيقول :

« كان الرأي السائد بين المؤرخين الى اواسط القرن الماضي ان البربر اول جنس بشري سكن البلاد ولكن البحوث العلمية والاكتشافات الاركيولوجية اضعفت في الوقت الراهن هذا الرأي ، اذ صار العلماء يعتقدون ان هناك مغاربة قدامى عمروا المغرب قبل البربر » . ولذلك نسان المؤرخين قسما العصور التي سبقت التاريخ الى عصر البليستوسين العصر الجليدي ثم العصر الحجري ، والعصر الحجري بدوره ينقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية قديم ومتوسط وحديث ، ثم العصر المعدني اي العصر الذي اكتشف فيه الانسان المعادن ولقد كانت حالبة المغرب في هذه العصور تختلف على ما نحن عليه الان ، ويذكر المؤلف اصول السلالات ولغاتها في تلك العصور فيقول : « لا نعرف شيئا كثيرا عن مجتمع المغاربة القدماء ولقد شك انه كان مجتمعا بدائيا قليلا تخضع فيه كل قبيلة لرئيسها ، وتتميز بمعدات ولغة وعبادة خاصة بها . والاثار التي عثر عليها ابتداء من القرن الماضي من جهات كثيرة بمسكن البلاد المغربية تؤيد ذلك فليس فيها ما يدل على ان المغاربة القدماء كانوا متشابهين في عيشتهم متقيدين بالاساليب بدنية بمعنىة ، فاشكال القبور والاواني والادوات والحلى والنقوش التي عثر عليها .. تختلف في جهة عنها في جهة اخرى » . ثم يضيف قائلا ما معناه اذا كانت البلاد المغربية هي مهد الانسان الابيض على ارجح الاقوال فان ذلك لا يعني انها بقيت معمرة به وحده منذ العصور القديمة او ان المغاربة القدماء احتفظوا على الدوام بصفاء اللون ووحدة السلالة ، فالقران جميعها تدل على ان الشمال الافريقي تعرض مثل سائر الاقطار لهجرات بشرية متتابعة ، الشيء الذي جعل فيه السلالات تتلاحم والدماء تتخالط ليتولد عنها في النهاية الانسان المغربي الذي يجمع بحكم ذلك بين

الحاسن والمساوي لسلالات كثيرة فلا يستطيع احد ان يجادل في هذه الحقيقة الا اذا استطاع ان يثبت بادلة مقنعة الوحدة السلالية بين سكان جبل الريف وزواوة ذوي البشرة البيضاء والعيون والزرقاء والشعور السوداء والعيون السوداء والشعور الجعداء وقد أكد هذا القول مستدلا باهم الهجرات التي عرفها المغرب حيث كانت الهجرة الاولى من المشرق الى المغرب منذ حوالي ٧٠٠٠ سنة فمئذ ٥٠٠٠ سنة ق.م حيث قام الكاهن المصري مينائوس احد كهنة (الحور شسو) بحاربة « الجبوتل » سكان الجنوب المغربي فغلبوهم وطردهم واستوطنوا بجيولولة في الصحراء المغربية ثم ذكر هجرة العرب القطنانيين للمغرب وهم اهل اليمن وهكذا اخذ يعرب بنوع القبائل العربية التي هجرت من المشرق الى المغرب من كنعانيين وفينيقيين وقرطاجنيين وغيرهم من هؤلاء الذين تدفقوا على المغرب من كل مكان فنصاهروا مع سكانه الاصليين فمن هؤلاء البربر اذن ؟

البربر اول امة عرفت باسم متميز من سكان المغرب منذ بدأ تدوين التاريخ فهم سكان الشمال الافريقي من صحراء ليبيا الى المحيط الاطلسي ومن البحر المتوسط الى حوض السنغال والنيجر ، اندحدروا من اصلااب المغاربة القدماء مختلطين مع مرور الزمان بن كان ينحاز السى بلادهم ويضاف اليهم من القبائل المهاجرة والشعوب الفسائية حتى اصبحوا امة متميزة بلغة وعادات ومزاج واسلوب خاص في الحياة . اما عن معنى كلمة البربر في اللغة فتعني الخليط في الكلام مع غضب ونفور ، فيقال وبربر الدلو صوتت في الماء ، وبربر فلان اذا كثر من الكلام في جلبة وصياح ، وبربر التيس

ينشدون من شعره هذه الابيات :

**بربرت كنعان لما سقتها
من بلاد الفك للخصب الجيب
اي ارض سكتوها ولقد
فازت البربر بالعيش الخصيب**

ولما قتل افريقش من غزوه ترك
بالمغرب حوامي من الجيش الذي
جاء معه وهم اهل قبيلتي منهاجة
وكتابه ، ولكني لا اتفق مع المؤلف في
هذه الرواية ما دامت هناك مصادر
كثيرة تثبت عكس ما ذكره . . . ولم
يكتف المؤلف بتقديم هذه الشروح عن
اهل البربر بل اتي بروايات كثيرة
ضمنها الاوصاف التي تتميز بها الفرق
البربرية في الغابة واللهجة اما المجتمع
البربري فيقول عنه المؤلف في ٢٨٠ :
« يقوم النظام الاجتماعي عند البربر
على اساس قبيلة محضة فالقبيلة
هي عماد النظام ومحور الحياة سواء
كانت رحالة تعيش على الريادة (٢)

والغزو ، او مستقرة تكسب من
الغلبة وتربية الاغنام وتركب القبيلة
من عشائر واسر . . ويرأس الاب او
الزوج الاسرة وله سلطان مطلق عليها
وهو اعلى مقابا واشد احتراماً من
الام والزوجة ، وتعتبر الاثني على
العوم في اكرية القبائل البربرية
شيئاً تافها ، ولذلك اجبرت على
القيام بكثير من الخدمات الشاقة وعدت
من جملة التركة اذا هلك هالك وصار
تعدد الزوجات واتخاذ الخليلات
والصديقات امراً مألوماً ، على ان
الماعولة لم تبخل على المرأة البربرية
بالتقدير والتكريم ابا بدائع البرور
بالابومة او بدائع المشق للجمال »
وتؤلف الاسر والعشائر في نطاق
القبيلة حلفاً في ساعات العسرة وتسير
صفا واحداً لشن غارة على عدو
وتقف الكابنات المرصوص لصد هجمات

او الاسد اذا علا صوته عند الهياج
وسمي الاسد بربراً بسبب ذلك ،
ويقال ان البربر كلمة مشتقة من كلمة
فرناروس اليونانية وهي تدل ايضاً
على اختلاط الاصوات ويدعي العلامة
« فيغيه » ان هذه الالفاظ كلها مأخوذة
من لفظة « واروارا » ومعناها باللفة
السنسكريتية « غريب » (١) .

والخلاصة ان لفظة « بربر »
تدل في جميع اللغات على الرطاسة
والجلبلة والضوضاء واما على الجهل
والقسوة والهمجية ولكن متى وكيف
صارت كلمة بربر علماً على المغاربة
الاصليين . الواقع ان كلمة البربر لم
تعرف في المغرب قبل مجيء الكتكتانيين
واليهود للمغرب فقد كان يطلق اسم
« شلح » على مجموعة من سكان
بعض القبائل المغربية وما زالت تطلق
حتى الان على سكان اقليم سوس في
المغرب .

اما عن اصل البربر فقد اختلف
المؤرخون والنسابة في رواية معرفة
اصل البربر فمنهاك طائفة ذهب الى
ان البربر يرجعون الى اصل سامي
ولكنها لم تتفق على الفرع السامي
فقد روى ابن عبد البر ان البربر من
ولد النعمان بن حمير بن سبع الذي
كان ملك زمانه ، وذهبت طائفة اخرى
الى ان البربر ينحدرون من سلالة
يفانية ارية ومن هذه الطائفة
العلامة « Dupront » وترى طائفة
ثالثة ان البربر اخلاط من شعوب
وقبائل كثيرة من حمير وضمر والقط
والمبالقة وكنعان وقريش تلاقوا
بالشام ولغطوا فسماهم افريقش
(البربر) لكثرة كلابهم .

اما سبب هجرة هذه الجماعات
الخليطة الى المغرب فالأكثر رجحانا
على ان افريقش استجاشهم من
سواحل الشام لغزو افريقيا وهم

مخير ، وهم يلبون في ذلك نداء الدم
ولا يستجيبون اداعي العقل منهم
ينصرون اخاهم ظالماً او مظلوماً ، ولكل
قبيلة قرية او قريتين فيها اسبوعيا
يوم عقد السوق لبيع الغلات وشراء
لوازم الحياة ، ويلبس البربر ثيابا
منسوجة من الصوف في الغالب وهي
بالنسبة للرجال مكونة من قميص
(تشابير) وسروال وقشلبة وجلباب
(جلابة) وبنروس كالجلباب الساكنة
على ضفاف وادي ملوية بالمغرب
الاقصى ، والاخرى الساكنة بجنوب
القطر التونسي واقليم طرابلس ،
وهذه السراويل قصيرة لا تتجاوز
الركبة (قندرسية) ويتنمل الرجل
في الحالات العادية حذاء جلدياً
(البلغة) والنعال في المناسبات
الصحرائية واثناء الحرب يلبس الحارق
رجله بنعل يسمى « بوغفاس » وفي
الحروب « القتاشير » وخاصة في
الشتاء ، ويعتم الرجال بعمامات قطنية
تسمى « الرزة » وقد يكتفون بلبس
طائفة او « شاشية » او يضعون
قبعات من الدوم لحمايتهم من ضربات
الشمس تسمى « تاراا » .

اما المرأة فتلبس قميصاً قطنياً
وسروالاً « حندرية » من الصوف في
البرد وازارا حرييراً في الصيف
وتتنمل في رجلها حذاء مطرورا بالحريير
والصقلي يسمى « الشربيل » وتغطي
راسها « بسينية » حريرية كما
تحترم بحزام حريري عريض واكثر
حليها مصنوعة من الفضة كالخلائف
والدماليج والخواتم والمائل والاقراط
وتزين المرأة بوشم اعضاء جسدها
كالوجه والذراع والفخذ والساق
ويقال ان الوشم ظهر نتيجة الحروب
اذ كان لكل قبيلة رموز واشكال خاصة
في الوشم يميز بها افرادها رجلاً
ونساء وعن طريق الوشم كان يعرف

(١) دائرة المعارف للبيسني - ٥ - ٢٧٦ و ٢٢٧ .

(٢) حرفة الاصراع الرواد الذين يخلطون بواشهم الى المرامي يجلين

مخبرين .

قبائل المغرب

في حلول كثير من الكوارث والمصائب بهم وببلادهم في القديم والحديث .

— ٧ —

ثم بعد ذلك اخذ المؤلف يقسم البربر الى طوائفهم التي نجعلها فيما يلي : (البربر البتر) الذين ينتمون الى مدغيس الابتر بن بر بن قيس بن عيلان بن مدر بن نزار بن عدنان ، (البربر البرانس) وهم جماعة مستقرة في المناطق الساحلية والجبالية وهؤلاء منهم تتكون معظم قبائل البربر ومن شعوبهم ازداجة ، واورية واورية وكتيبة ومصودة وصنهاجة وعجيسة . اما شعوب البتر فهي (الواسية) ويتكون منها انداره واوطيطه وترهونة وصنيرة وهداغة وغزولة وشتانة . اما (لواتة) فيتفرع عنها وجدانة وبنع شاعة وهزوزة واكورة وجرمانة ومغانة وسدرانة . اما (نزاوة) فينحدر منها زاتية وزهيلة (وامجر) ويتفرع عنها مرنيسة وكنلانة وغسلانة وسوماتنة ورغوس وردغوس وردين وركبول وسيف ولهاصة (و نفوسر) ومنها بنو زور وماطوسة وبنو مسكور . (وخريسة) ويتصل منها درنة وكشانة وكوميعة ولماية ومدبوننة ومطاطة ومطفرة ومغيلة وصدينوزناتة وزواغة ومكلسة . فهؤلاء كلهم قبائل بربرية من البربر البتر وقد حلل المؤلف كل نوع والى اي حد ينسبون ، ولشيق المجال لم نتكهن من اتباع نهج السيد المؤلف الذي ابرع في هذا الجانب اكثر من اللازم .

اما شعوب البربر البرانس فهي شعب (ازداجة) ومنهم مسطسلة وبني مسكن وشعب (اورية) ومنهم

الاسرى فيعادون الى قبيلتهم . وطعام البربر بسيط ولكنه لذيذ لا تكثر فيه التوابل في حين يكثر من الخضر واشهر الوان طعامهم « الكسكس » وهو الطعام الشعبي في المغرب والمشوي وبغيرير والزيدو الرغائف والمصيدة والحريرة والسفنج ومصيكوك ويتقدم الحليب والتمر للرؤساء والضيوف وللعرس والعروسة في حفلات الزفاف وكان لقتداء البربر ديانات ومعتقدات بعضها وثني كما كانوا يعبدون الاجرام العليا من شمس وتمر فلما ظهرت الديانات السماوية بالشرق بلغت اصدائها الى المغرب ثم نقل ذلك الفاتحون الذين وجدوا الديانة اليهودية والفرنسية متفشية في بعض القبائل البربرية فحاربوها وقوضوا معالمها .

وخلاصة ما يقال عن البربر انهم شعب قوي صبور كريم يحب افراده الفخر ويمسحون المجد ويهيون بالعلو ويجمعون بين جمال الجسم وخفة الروح وحسن التنية ولطف العشرة وهم من الشعوب التي تضرب بشجاعتها الامثال وعندما يتوفر لديهم السلاح وحسن النظم ومهارة القيادة يفعلون في ميادين الحرب ما تحار فيه العقول ويظهر الالباب ، وهو الى ذلك — اي الشعب البربري — طروب يحب الموسيقى والرقص واقامة الحاسم والحفلات ، ولغلكوره من اغنى فلكلورات الدنيا ، والبربر كرام النفوس لا يخلون على ضيفهم بما يملكون وما لا يملكون ، ولكن يهيم الى جانب ذلك بعض الخصال الذميمة التي لا يخلو منها شعب من الشعوب من اعظمها ، الفوضى التي كانت سببا

ايت وريبل ديقوسة وغفيوة زهوكوة ولجايقوزيانة ونغاسة ونيجة وشعب (اوريفة) ومن قبائلهم اسيل ووسطات ومليلية ومسرانة والطربلية وتنف ورغل وزمور وكبسا وكركودة ومساواس ومنداسية وسراي وزجين وبيانية وفل وقمصانة ورسيط وزكارة ومجريس ومسلانة وغريان ورغة وبني كسي ولشوة وهكارة وهيوارة ورتاكت . وشعب (كتابة) ومن قبائله جبيلة ولهبسة ومسلانة واجانة واوانس وغسمان وماوطن ومعاذ وقلان ودهناجة وموتوسة وريس وزواوة وكتامة ومسالمة وسدوكيش وبني يستيس وهسيوة وبني تليلان . وشعب (مصودة) ومن قبائلهم برغواطة وتينيل وحاحة وكالكة وكدميو وكلاوة وكفيسة وصادة وغبارة وهرة وهزوجة وهزيمة وهناتة وريكة وزكيعة . وشعب (صنهاجة) وتتفرع منهم قبائل كثيرة منها انجة وانوة وبجاية بطوية وتاركة وتلكانة وجزولة وبني جعد حيد وبني خليل وبني دركون وبني زروال والزناكة وزعاوة وكدالة ولتونة ولدية ولطة ومنان وبني مزلدة ومزغنة وملوانة ومسوسة وملبانية وصنهاجة صندو وصنهاجة السراير وبني عمران وفشالة وسطة وبني سليل ودهناجة ومسكورة وبني هارث واوغة وتريكة ورتنطق وبني وراك . وشعب (عجيسة) وهم من البرانس ايضا .

وبعد ذكره لحياة هذه القبائل

الكثيرة اخذ يتحدث عن مواطنهم وتقلاتهم بين بلاد المغرب الاربعة ولذلك نجد اغلبهم الان موزعا على اقطار المغرب فاذا التقينا نظرة عامة على موطن البربر في الشمال الاطريفي اوائل الفتح الاسلامي نجد ان البربر منهم من اختصوا بسكنى اقليبي برقة وطرابلس وسط الجريد وجبل اوراس وبلاد الزاب ولذلك فان توزيع البربر انما كان مقرونا بالفتح الاسلامي ومجيء بني هلال الى بلاد المغرب .

— ٨ —

اخيرا ياتي المؤلف على آخر فصل في الكتاب وهو المتعلق بقدم العرب الى بلاد المغرب فنجد ان يقسم العرب الى ثلاثة اقسام عرب بالدة وعرب عارية وعرب مستعربة فيحدد اصل كل واحدة منها ثم يقدم نظرة عن هؤلاء العرب في الجزيرة العربية قبل الاسلام وكيف كانت السيادة تنقسم بينهم فغارة نجدها بيد قبائل الشمال ثم تنتقل الى يد قبائل الجنوب .. وبعد ذلك يشرح لنا كيف كان التجسع العربي يعيش في الجزيرة العربية والصفات التي يتميز بها قبل مجيء الاسلام ويبحث بمحمد (سلم) ليخلص العرب من حياة الجاهلية التي كانوا عليها وهي حياة لم يلقها الاسلام .

وهكذا نجد المؤلف يحدثنا عن الرسول العظيم وعن انتشار الاسلام في الجزيرة العربية وكيف انتقل الفاتحون الى بلاد المغرب لنشر الرسالة المحمدية منذ عهد عمرو بن العاص حيث صاروا يفتحون ارض برقة وطرابلس وقد شارك في الجيوش التي تم على يدها هذا الفتح صحابة

كبار منهم بنو هاشم وبنو تميم وبنو عدي وبنو الدليل وضمرة وغطفان واشجع وفزارة وبنو كعب . وقد كان بودنا ان نطيل في شرح تاريخ الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ونقا للنهج الذي اتبعه المؤلف ولكن طول هذا الفصل وتشعب موضوعاته جعلتنا نكتفي بهذه الاشارة مع التلميح الى تاريخ بعض الداخلين من العرب الى بلاد المغرب ايام الفتح واهمهم بنو هلال والمعل وبنو سليم .

يقبو هلال ينسبون الى هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . كانت مواطنهم في الجاهلية يتسلط الطائف ثم بعد انتقالهم الى المغرب تشعبوا الى قبائل يبطون منها الاتبيح وجشم ورباح وغزيلة وعوف ، وقد قدم المؤلف نظرة عن حياة كل قبيلة والبطون التي تشعبت عنها نتيجة تنقلها في الفتح الاسلامي داخل بلاد المغرب الاربعة . اما المعل فنسبهم مختلف فيه ودخلهم الى المغرب مجهول وخفي عند الجمهور وقد ذكر بعض المؤرخين بانهم بطن من بطون هلال اما هم فيدعون بانهم من آل البيت من ذرية جعفر بن ابي طالب .

اما بنو سليم فهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من اوسع بطون مضر واكثرها جوعا كانت مواطنهم الاولى بنجد وكانت الرئاسة عليهم فيها لبني الشريد ابن عسية .

والذي نجعله عن الشعوب الثلاثة — بني هلال والمعل وبنو سليم — انها شعوب تنسب الى بطون وقبائل اختلف المؤرخون في

ارجاعها الى هذا الشعب او ذاك وان كان بعضهم يقول بان اصل الجميع يعود الى شعب بني هلال وكذلك اختلف النسابون في تحديد موطن كل قبيلة عربية من القبائل المذكورة في بلاد المغرب لان معظم القبائل استوطنت اماكن كثيرة داخل الوطن المغربي .

— ٩ —

وخلاصة القول ان كتاب «قبائل المغرب» يعتبر من التأليف الحديثة التي قل مثيلها اليوم لا يتم للقارىء المختص في اسلوب شيق معلومات قيمة عن جغرافية وتاريخ الوطن المغربي وحالة سكانه وطبائعهم وعاداتهم ومعيشتهم وكل ذلك وفق نهج خطه المؤلف حسب التجارب التي اكتسبها كباحث ومؤرخ ، لم يفتر عن البحث والحراسة منذ ثلاثين سنة كان من نتائجها هذا الكتاب المفيد الذي نأمل ان نقرأ قريبا الجزء الثاني منه الذي وعدنا المؤلف باصداره خاصا بترتيب القبائل المغربية بحسب المواطن التي كانت تقيم بها عند بزوغ عصر النهضة الحديثة في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ، وفي الاخير استسبح القارىء الكريم على طول هذا العرض الذي كتبت مضطرا فيه ان اعطي خيرا ما اشتغلت عليه سهلة صفحة في هذه الصفحات القليلة .

الرباط — عبد الرحيم بن سلامة

كلمات الياما

تتميز عذابي الياما

وتهمسين همسة الموج الذي ضيَّع شطآنه :
(ميجانة .. ميجانه
غابت شمسنا الحلو ما جانه) ؟

شوقي اليك يا تمر
شوق الصمغاري للطر
شوق الفرائشة التي اتعبها السفر
للماء ..
للافياء ..

للزهر
ولهفة الجفن الذي قرَّحه السهر
للقو والبسكون
اهواك يا خمرة المي
اهواك رغم الجرح والالام والشجون
ورغم قسوة الظنون
اهواك ..

اهوى الموت في عينيك والفتاء
واعشق التفتاء
اعشق في بحور عينيك الغرق
اعشق ان اتوه فيهما ..
انوب ..

أحترق
وان اكون في لظاهما وقر
يا لهبًا يطيب الفرائ ان يموت في لظاه
يا الماكو يعمر الضلوع ما اشدت
ما نبيت باه
يا أرتا خطاه فوق اجفني حبيب
ويا عذابا كله عذوبة
تالوا : (مليح كل ما يفعله المايح)
فكيف هذا القلب يستريح ؟

غدا اذا ما اجتمع المشائ يا حبيبي ..
في ساعة اللقاء
غدا اذا ما أمطرت مواسم العطاء
ودارت الكؤوس نخب الأوجه الصباح
فالتأمت جراح
وانفتحت جراح
(الا جراحي ابدا ليس لها التئام)
فهل تضمني غدا مجالس الفرام ؟

غدا اذا عدت وفي ثفري الف اغنية
وفي ضلوعي الف الف امنية
تبحث في عينيك عن فراغ
تبحث عن شرع
ينشلني من بحر الغربة والضياع
فهل تمدين لي الفراغ ؟

غدا اذا ما عصفت الحنين
واشتاق للرائىء السفين
وعدت للبيت الذي قد ضلنا سنين
فهل تغنين لي عند عودتي :
(دار الهوى دار
امته نشوفك يا حلو ..
تفرش لك الدار) ؟

وهل تستعيق ساعة الغروب يا حبيبي ..
لانها تحملني اليك ؟
فتحمل الشمس .. كما كنت تقولين .. لناطريك ؟
وهل ستحزنين كلما تاخرت عليك ..
ساعة اللقاء ؟
فتقرنين دمة للشوق ظمآنه :

أعلام وأصحاب أفلام



تأليف
الاستاذ
أنور
الجندي



نقد
الركنور
عبد
بروي

فأنا الآن لم نبتعد عن هذه النظرة ، بل اكاد أقول ان أعمالنا الحديثة العظيمة تمت بسبب الى هذه النظرة ، ويكفي ان نلقي نظرة على انتاج عدد من الرواد مثل عباس محمود العقاد ، والدكتور طه حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور زكي مبارك .

بل انني أخشى ان أقول ان هذه النظرة شديدة الوضوح في الشعر العربي وبخاصة حين يمدح الشاعر أو يتغزل أو يهجو ، ومثل هذا يمكن ان نجد في الرسم المستوعب للشخصيات القصصية والمسرحية عند عدد من الكتاب يجيء في مقدمتهم نجيب محفوظ ، وعلي احيد بكثير ، ومحمد عبد الحليم عبدالله . وعلى كل فإذا حصرننا انفسنا في دائرة التاريخ لرجال الاسلام والعروبة ، وإذا اردنا ان نعرف الامتداد الحقيقي في هذا المجال لجيل الرواد . . فأننا بلا شك وبلا تردد سنجد انور الجندي هو الامتداد الطبيعي لهذه الظاهرة ، صحيح ان المنهج يختلف من جيل الى جيل ، وطريقة التناول لا تكون واحدة في كل العصور ، والفكر الذي يصدر عنه الكاتب قد يعلو وقد يخفت ، ولكن الذي لا شك فيه ان انور الجندي قد قام بعمل جاد لم يلتفت اليه — كالعادة — حتى الانكشافات ، بل أخشى ان أقول انه قام بهذا العمل في « غيبة » حركات النقد ، ومن وراء ظهر الذين يدعون انهم يرغبون كل شيء ، ولعلمهم لو عرفوا حقيقة ما يكتب لمعتلوه وعوتوه .

ويكفي ان اقدم لكم اساءة مؤلفاته في هذا الجانب الذي يؤرخ للشخصية فقط ، والذي وضعه تحت اسم « موسوعة التراجم » مكتبة في هذا الجال هي : —

١ — اعلام واصحاب افلام ٢ — من اعلام الادب

هناك ظاهرة عامة اعتقد ان الاستاذ انور الجندي ان يعرف الا من خلالها ، فنحن ان نصل الى حقيقة ما يكتب الا اذا مررنا بهذه الظاهرة غاضبين أو باسمين ، وباحثين عن الحقيقة أو مجرد متزهين بين بساتينها المزهرة ..

وعلى كل فهذه الظاهرة هي ما يمكن ان تكون جوابا على السؤال الذي يقول : لماذا يهتم تاريخ الاسلام بصفة خاصة بظاهرة الكتابة عن الاعلام ، فنظرة سريعة الى تراثنا توضح انه مملوء بما يعرف باسم الطبقات ، فهناك طبقات الشعراء ، وطبقات النحاة ، وطبقات الصوفية وطبقات القراء ، وطبقات المشاهير والاعلام .. الخ ، بل الفصالب على الكتب العربية جميعها انها تتعرض للشخصيات اكثر مما تتعرض للاحداث ، ويكفي مثلا ان نأخذ كتاب « الخزانة » لعبد القادر بن عمر البغدادي ، وهو اساسا في علم النحو ، الا انا سنجدته يقدم تراجم مستوفاة للعديد من الشعراء .

ومهما يكن من شيء فنحن لن نتعرض للقضية التي وراء هذا والتي تؤكد — فيما تؤكد — اعزاز العربي بفرديته ، وبحريته ، وبكل ما يجعله متميزا وبخاصة في الفترات التي كان صوته فيها مسموعا حضاريا ، نعم لن نتعرض لاصول هذه القضية الرحية ، وان كنا نؤكد ان هذه النظرة العالمة في التأليف تلتى بظلالها دائما على كل ما يكتب في العربية ، وليس هذا في القديم فقط ولكن في الحديث كذلك .

فإذا كان التاريخ العربي بهذا الفهم يصبح « تاريخ الرجال » أو بعبارة ادق « تاريخ الانسان »

أعلام وأصحاب أقلام

وراء الإبداعية ، فكيف خالفت هذا حين قدمت مثلا أمين
سأسي على أمين الرافعي ، وتوفيق البكري على
توفيق اسكاروس .

وعلى كل فما يهنا هنا هو جوهر الكتاب الذي
ينظر الى العالم العربي على انه دار واحدة ، والسذي
يقدم معلومات موثقة عن كل شخصية ، والنظرة
الاولى لهؤلاء الذين ارخ لهم توضح ان الفترة التي
تعرض لها هذا الكتاب كانت فترة رائعة وخصبة ..
كانت فترة قادرة على انبات الرجال ، وتحريكهم ،
واعطائهم الفرصة ليقولوا كلمتهم في كل شيء . ففي
هذه الفترة سمعنا الانغاثي يقول « .. الشرق
الشرق ، لقد خصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه ،
وتحري دوائه ، فوجدت اقتل ادوائه ، وما يعترض
في سبيل توحيد الكلية فيه دواء انتقام اهله ،
وتشتت ارادته ، واختلافهم على الاتحاد ، واتصادهم
على الاختلاف فقد ، انتفخوا على الا يتفقوا ! » ويقول
« .. وانت ايها الفلاح المسكين : تشق قلب الارض
لتنسيت ما تسد به الرق ، ويقوم بأود الميائل ،
فلماذا لانشق قلب ظالك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين
ياكلون ثيرة اتمايك ؟ » .

.. ووجدنا الشيخ الاسكندري يدعو لان تكون
اللغة العربية لغة للعالم الاسلامي ، ووجدنا عبدالعزيز
جاويش ، يدعو الى الحرب بسلاح المقاومة ، ووجدنا
احمد زكي باشا يرى ان من الخير لمر ان تكون راسا
لشخصياتها وجاراتها من بلاد الشرق وامم العربية ، على
ان تكون ذنبا لبلاد الغرب وامه ، ووجدنا الكواكبي
يهاجم الاستبداد ويقت بغير حدود الى جانب الحرية
— بكافة ابعادها — للانسان العربي ، ويقول في
هذا الوقت المبكر : « اننا العرب امرق الامم في اصول
تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية ،
والعرب امرق الامم في اصول الشورى ، والعرب اهدى
الامم لاصول المعيشة » . كما راينا طاهر الجزائري
يدعو الى الاعتلال من القراءة في ايام العطلة ، ذلك
لان الاعتكاف على الكتب يجيب الوحشة والتمززال
عن الناس . الخ ما قيل ..

.. وما اكثر الاراء والقيم المضئنة التي تشع من
هذه الشخصيات ، وان كنا نلاحظ ان الكاتب يحاول في
الغالب ان يقدم صورة زاهية عن كل شخصية ، وكأنه
يذكرنا هنا بما كتبه حسن البوربي في كتابه اعيان
الزمان ، ذلك لانه ذكر انه يكتب عن الحاسن فقط ،
اما المساوي فينتكل بها الله !

ولكن نطله نحن نعلم هذه القضية ، ذلك لانه
يورد في رفق شديد بعض الاخطاء التي وقعت فيها هذه
الشخصيات على نحو ما نعرف مما كتبه عبدالله التديم
ص ٢٥٨ ، وعن حافظ ابراهيم ص ٢٩١ وعن قاسم

والفكر ٣ — الجباه العالية ٤ — مفكرون وادباء
من خلال اثارهم ٥ — الاعلام الالف ٦ — رواد
الحرية في العالم العربي ٧ — رواد القومية العربية
٨ — احمد زكي باشا ٩ — عبد العزيز جلاويش
١٠ — زكي مبارك ١١ — الامام المراغي
١٢ — الجيل في اعلامه .

فأذا عرفنا ان الملاح الحقيقية للحضارة العربية
تقوم اساسا على بناء الشخصية ، وتعني اكثر مما
تعني بالانسان ، ولا نكتفي برسم الشخصية من الخارج
فقط وانما تلقى بالزبد من الضوء الى الدوافع والى
الاعماق .. اذا عرفنا ذلك ثم تحولنا بالاعين الى
وبالعين — في هذا الكتاب المسمى « اعلام واصحاب
اقلام » نجد ان المؤلف ابن شرعي للدرسة العربية ،
وللتصور العربي في فهم التاريخ .. وعلى كل فالمؤلف
في كتابه — احتراما لموضوعية التأليف — قد حدد لنا
الفترة الزمنية التي تجول فيها فقال « وقد اردنا بتدبيرها
على هذا النحو المتناسق في هذه الفترة الزمنية التي
تمتد من اوائل القرن التاسع عشر الى اوائل الحرب
العالمية الثانية بوصفها مرحلة متكاملة هي مرحلة
البقطة (ص٦) ثم قال بعد ذلك « ان مجال الدراسة
هو العالم العربي في فترة زمنية تقع في منتصف القرن
التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين » (ص٦)
وبهذا المقياس الذي وضعه لنفسه نقول له كيف وضعت
في هذه الدائرة علما كالجبرتي الذي ولد عام ١٧٥٤ .

ثم ان المؤلف قد رتب شخصياته — التي وصلت
الى اثنين وخمسين شخصية — ترتيبا ابداعيا ،
ولا ادري لماذا شعرت بنوع من الضيق حين وجدته
يفصل بين رائدي تأصيل التراث احمد تيمور واحمد
زكي .. باحمد خير الذي ذكر ان له دورا في النظم
وتلحين الاتاشيد ، ومع اني اخالف المؤلف في قيمة هذه
الشخصية ، الا انا تعود فنقول له اذا سلمنا لك بالسير

من أخبار الفكر

● قام الدكتور محمد حسين الزبيدي بدرس التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة بغداد. بطبع مؤلفه (العراق في العصر البويهي) ويشتمل على التنظيمات السياسية والادارية ، والاقتصادية في العصر البويهي ، حيث بذل مجهودا كبيرا في اعداد هذا الكتاب الذي نعتقد انه سيبدد فراغا في المكتبة العربية ، وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة .

● يقوم معهد المخطوطات في الجامعة العربية بجهود مشكورة في طباع واحياء التراث العربي ، وقد طبع الكثير من هذا التراث الخالد في مجلة المهد ، وبازال يواصل نشاطه بكل حمة ونشاط ، والمعروف ان الذي يشرف على هذا المهد في الوقت الحاضر هو الدكتور مختار الوكيل .

● يقوم الاساتذ حسن كامل الصيرفي بتحقيق ديوان عمرو بن قتيبة وفي نفس الوقت يعد دراسة شاملة عتيقة لهذا الديوان النادر وعمرو بن قتيبة هو صاحب اراء القيس في رحلته الطويلة الى القسطنطينية كما يقول الرواة ، وسماه الرواة ايضا عمرو الضائع . وسيطبع هذا الاثر الخالد في مطبوعات معهد المخطوطات في الجامعة العربية .

● صدر في القاهرة كتاب (الادب والقومية في سورية) وهو مجموعة محاضرات القاها الاساتذ سامي الكيالي على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، والاساتذ سامي الكيالي هو صاحب مجلة « الحديث » الفراء التي كانت تصدر في حلب .

● صدر في بيروت ديوان شعر جديد : (فلسطين وكبرياء الجرح) للشاعر حسن عبدالله القرشي من شعراء الجزيرة العربية ، ويضم مجموعة ممتازة من اغانيه في « فلسطين » الجريحة ، وهي اغان منطلقة من قلب مجروح ، واي قلب عربي لم يكن مجروحا بعد هذه النكبة التي حلت بالامة العربية ، ولعل المأساة التي تعانيها هذه الامة تستد تدفع ، وتعود الامة الى الانتماء والوحدة .

امين ص ٣٣٤ ، وقد يترك شخصية تحاكم شخصية بدون تدخل منه على نحو ما عرفنا من عبدالعزيز جلاويش الذي كان يقول عن سعد زغلول انه من ادوات الاستعمار فقد بحث قانون المطبوعات ، وصديق على احكام السجن الصادرة على فريد والفساياتي وجاويش ، وحين كان وزيرا للمعارف عارض في مشروع الجامعة ، وفي مشروع التعليم باللغة العربية ، ولا اشك انا تعرف موقف انور الجندي من « سعد » حين يترك خصما له يتكلم ويلقى بالتهم من غير تدخل منه ، وكأنه سعيد بهذا ، وكأنه كذلك يريد ان يتكلم من وراء قنصاع ؟

ومهما يكن من شيء فالؤلف يريد ان يعطينا — بصفة عامة — الثقة في اعلاننا ، ويحاول ان يجعل منهم تدوة باق ما تدل عليه كلمة « تدوة » ..
فالقاري لهذا الكتاب يخرج بما يشبه الثقة في الناس وفي الانبياء ، فهو لا يثيره ولا يحرك فيه الثقة ، وانما يدعو بحرارة الى ان يحافظ على البناء القائم ، والى ان يجد الرجل الذين قالوا كلمة مصرهم ، والى ان يتحرك حركة عاقلة في الحياة من حوله ، ولعله الوجه الاخر لتلك الحركة التي تدعو الى نفس الحضارات القديمة ، والى زلزلة الاوضاع القائمة ، والى الثقة على الكثيرين في الحياة ، فهو لا يهاجم كتكتية المهاجمين وانما يكتفي فقط بالاشارة الى السروح الموجود في الحضارة العربية دون ان يشترك .. فون ان يرشح سيفا !.

.. وربما كان هذا جهد الكتاب الموسوعيين ، ولا ادري لماذا يذكروني دائما انور الجندي بجبل الكتاب الموسوعيين من العرب الذين كانوا لا يظهرون بوضوح الا عقب كل انكسار في الحضارة العربية ، فقد كان جدهم ان يعطوا الثقة في المستقبل وفي الحياة ..

واخيرا فالؤلف احيانا قد يتركنا ظاه حين يذكر مثلا هذا الحوار الذي دار حول كلمة « علي الحرك » وهل هي فرنسية او عربية ، فهو يكتفي بالقول بانها عربية من غير ان يقدم الدليل على هذا .

وهو حين يتكلم عن مولد احمد خيريت يقول « ولد في السيدة زينب بالقاهرة ، بحي الدقي » فهل هي السيدة زينب في الدقي ؟ .. اما الصورة العامة لهكذا المؤلف ، فهي انه يعمل في صمت ، ويقدم — باناة — كل ما يعطي الثقة في الانسان العربي ، وفي الحضارة العربية .. ويكتفي هذا لنشد على يديه ، ولنقول له، فليشارك الله اعلامك واصحاب افلاكك ، ويصحبوا قادرين ابدأ على التجول في العقيلة العربية ، وبخاصة في الارضنة التي يكون فيها قحط في الاعلام ، وعقم في اصحاب الاعلام .

الدكتور عبده بدوي

سؤال الهاجر

أواه يا سائلي .. ضاعت ملامحنا
وضل فوق دروب العمر مقصدنا
وبات كل يناجي طيف صاحبه
في عالم لم نزل نحياه في ظمأ
ختماً نجيباً بلا ريّ يزودنا
بـ لقاء ؟؟ ألا ما كان أفساناً
خلف الضباب .. وتاهت فيه دنيانا
وانقض سامرنا .. وانهار مأوانا
في عالم لم يزل يدمي خنايانا
ولو شربنا .. فالأما .. وأحزاننا

أواه يا سائلي ... إني يعذبني
وقد هجرت .. وهذا ما يؤرقني
أدميتني حين لم ترجم حنين أخ
بـ ذوب شوقاً .. ولا يدري .. وليس له
بعد الحبيب .. إذا ما كان هجرانا
فهل تجيب .. لماذا عفت لقيانا ؟
يهبواك قلباً نديّ الحب ، ريانا
إلاك بالعاشق المشتاق رحمانا

أواه يا سائلي .. ما كان أسعدنا
ونحن فيه حكايا غاب منطقها
ونحن فيه فراشات يرق لها
فترجمي فيه ، تسمو فوق عالمه
والليل من حولنا يختال نشوانا
عن الوجود .. وذابت فيه أشجانا
ريح اللقاء ويبدو الأفق مزداناً
وتزرع العالم العلوي ألعاناً

أواه يا سائلي ، ليت الزمان بنا
لكنه في ربوع النور جمعنا
فأورق الحب واخضرت مشاعره
فإن بعدنا .. وسهم الدهر مزقنا
ضل الطريق .. فما كنا ولا كانا
على صفاء تهادت فيه روحانا
وأثمرت بيننا ، حتى نوايانا
أو التقينا على أشواقنا آتنا
بنا الحياة .. أو اغتالت حكايانا
فلن يموت الهوى يوماً .. ولو جنحت



المعزة الرهيبة

قصة حقيقية بقلم المنصور

تسري في عروقه الفنية ، وكان يحب التعرف على المناطق البعيدة في وطنه ، ولا يكثر لمخاض السفر أو وحشة الاغراب .

ولم تكن خطوط السكك الحديدية قد ابتدأت الى القرية التي يقصدها بعد ، فسافر في سيارة اجرة عنيفة ، لم توصله الى غايته الا بعد ان توقفت عن السير عدة مرات ، واضطرته الى النزول مع بقية المسافرين للاشتراك في دفعهما .

واخيرا وصل الى مقر عمله الجديد بعد رحلة

ان هذه القصة التي ارويها لكم حقيقية في جميع وقائعها ، وقد حصلت لغريب لي منذ ما يقرب من اربعين عاما . وكان قريبي ، ولتسمه (س) ، قد انتهى آنذاك دراسته الإعدادية ، واختار الالتحاق بسلك التعليم ، فعيّنه وزارة التربية مدرسا في قرية نائية بشمال البلاد .

ولم يساور (س) القلق لبعد مكان عمله عن الاهل والاصحاب ، فمع انه ولد ونشأ في عاصمة البلاد ، الا انه كان في مطلع شبابه ، وروح المغامرة

المضنية الى سبات عميق . ولم يعلم كم من الوقت نام ، الا ان الاحلام المزعجة التي اخترقت جدار راحته ، ما لبثت ان تحولت الى كابوس فظيع ، فاذا به يرى في نومه وحشاً كاسراً يثب على السرير ليحجم على صدره ويخنق انفاسه .

ثم مالبت الكابوس ان اخذ يتحول الى حقيقة عندما بدأ قريباً يفيق ، ويحس بأنه يوجد فعلاً شيء ثقيل يضغط على صدره . غهب من نومه مذعوراً ، ووثب من السرير وهو يزعج «الشيء» عن جسمه . ثم ارتد الى الخلف لاهثاً ، والصق ظهره بالجدار ، مستعداً للدفاع عن نفسه ضد من حاول كتم انفاسه .

ثم جال بنظره في أرجاء الغرفة ، فمشاهد عينين تلتمعان في الظلام ، فرفع الشمعة حتى سقط نورها الضئيل على صاحب العينين ، فاذا به قط ضخم الحجم الى درجة مذهلة . فهدأ روع (س) بعض الشيء ، وان كان منظر القط البشع الكبير لم يجلب الطابئة الى قلبه ، الا انه مجرد قط على أي حال ، والمقط طبعاً لا تفرس البشر .

ولكن من اين انى ياترى ؟! ان الباب لا يزال مغلقاً وكذلك النوافذ، فهل اخترق هذا القط الجدران؟! وتذكر قول الحارس ان الغرفة مسكونة ، فسرت تشعيرة في بدنه ، الا انه تامل على خوضه ، وتناول الشمعة فطال بها في أرجاء الغرفة الواسعة ، يبحث عن مصدر لعل الهرأتى عن طريقه ، الا انه لم يجد شيئاً .

ولم يجرؤ على استخدام القوة في سبيل اخراج هذا الحيوان الشيطاني من الغرفة ، بل قرر اللجوء الى الرشوة ، ففتح حقيقته التي كان امله قد بلاؤها بكل ما لذ وطاب ، ثم قام بفتح باب الغرفة ووضع كبة كبيرة من الطعام على عتبة . وكان الهر يراقبه بعينيه المتفتنتين . فما ان رأى الطعام على الارض حتى انقض عليه ، وكان ذلك ما ينتظره (س) اذ اصبح جسم الهر الضخم خارج الغرفة ، فقفز وغلّق الباب . وهكذا تخلص أخيراً من ذلك الحيوان الغريب ، فتنفس الصعداء ، وبمسح عرقه ، ثم عاد الى السرير . وقيل ان يستأنف نومه ، قال لنفسه : لا ريب ان هذا الهر، لعنة الله عليه ، هو الذي جعل الناس على اعتقاد ان الحجر مسكون . ولكني تخلصت منه والحمد لله ، وبمرأى أخرى استمد (س) للاستغراق في نوم عميق ، اذ كان الازهات اقوى من الخوف والقلق ، ولم يجل في فنهته ، والبطلة تجارحه ، بان مجاعة الليلة الكبرى لا تزال امامه ، اذ كان يتأرجح بين الوعي والسبات . طرق سبعة نجاة صوت موحش عجيب ، ففسار النوم من عينيه مرة واحدة ، وهب جالساً في السرير ،

مضنية استغرقت الجزء الاكبر من النهار ، فوجد في انتظاره حارس المدرسة .. ووجد ايضا ان المدرسة لم يكن بناؤها بعد ، ولم يمتد اليها الكهرباء او الماء ، كما ان ادوات البناء كانت منتشرة في باحتها .

واقترح عليه الحارس ان يطلب من احد زملائه المدرسين استضافته في منزله ، الى ان يحصل على دار له ، ولكن قريبي (س) لم يكن قد تعرف على زملائه بعد ، وانف ان يذهب الى شخص غريب ويطلب منه استضافته . ثم ان المسؤول في وزارة التربية كان قد اخبره بوجود غرفة في المدرسة معدة لبيت المدرسين الجدد بمصفة مؤقتة ، فلماذا لا يتقيم في تلك الغرفة ؟

فتردد الحارس ثم قال له :

« يجب ان اقول لك الحق . نعم ، توجد هنا غرفة تستطيع المبيت فيها ، ولكن الذين قضوا ليلة فيها تلك ، غادروا القرية في اليوم التالي وهم يقسمون انهم لم يعودوا ثانية اليها . »

فاستغرب (س) ذلك وسال الحارس عن السبب ، فاجاب :

« يقال ان الحجرة مسكونة . واذا اردت الصدق ، فلنا شخصاً مع اني حارس المدرسة لا اقضي الليل في هذا المكان ، بل في داري التي تبعد مسيرة عشر دقائق عن المدرسة . »

فهم (س) كتيه باستهانة الشباب وقال :

« اني لا اؤمن بالخرافات . سبيت في الحجرة رغم انف جميع الاشباح والارواح . هيا .. تدني اليها . »

فقال الحارس :

« اذن تعال معي ، ولكن لاتنس اني حذرناك ! » ثم قاداه الى حجرة واسعة وكانها قاعة ، تقع في نهاية دهليز طويل مظلم . وكانت الحجرة حقا كثيفة موحشة ، ولم يجد فيها (س) الا سرياً وجبوسة من المجارف والفؤوس والمطارق التي خلفها عمال البناء ، مكدمة في احد الزوايا . ثم تركه الحارس وذهب .

وبقي (س) وحده في الحجرة الواسعة التي بدأت جيوش الظلام تزحف على اركانها . فاولد شععة ، ثم تمدد على السرير ليقلب الامر من جديد . هل الافضل يا ترى ان يعمل بنصيحة الناس ويطلب من احد المدرسين استضافته ؟ هل تسرع حقاً عندما اصر على المبيت هنا رغم تحذير الحارس ؟ ولكن كيف يغير رايه الان دون ان يظهر امام الجميع بمظهر الجبان الذي يرتدي لبوس الشجاعة ، ثم لا يلبث ان يتكشف على حقيقته ، فينبذ ويقتصد بهاء وجهه امام اهل القرية وتلاميذه وزملائه المدرسين .

ولكن تبسل ان يستقر على راي ، دامه سلطان النوم ، فاستسلم جسده المنعبد من رحلته الطويلة

وعندما دخلوا الحجرة ، ونشروا بالشعاع التي كانوا يحملونها النور في أرجائها ، وجدوا المعصرة الرهيبة ترقد بلا حراك في بركة من الدماء التي لطخت لحيتها وقربنها والإجراس المتدلية من جدرانها . ولكن الغرب من ذلك ، ان المعزة لم تظهر منها إلا رأسها ورقبتها . أما بقية جسدها ، فقد اختفت داخل الجدار ، أو هكذا ما تراءى للووم وهم يتقدمون بحذر من السراس الهلبد .

ولكنهم عندما أصبحوا على بعد خطوة واحدة من الوحش الغريب ، انجلي أمامهم سر وجود الرأس فقط داخل الغرفة ، فقد اكتشفوا ثقباً واسعاً في الجدار ، ووجدوا أن جسم المعزة يمتد من هذا الثقب إلى ساحة تتسع خارج الغرفة . مهرعوا إلى المكان المذكور بشعاعهم ، فإذا بهم يعثرون على شخص يرقد على ظهره ، وقد قطعت ساقاه عند ركبتيه .

فاتقرب أحد الناس من الرجل ، ونظر إلى وجهه الشاحب المتقلص من الألم ، ثم قال بدهشة .

« ان هذا (ف) » وذكر اسم قاطع طريق مشهور في تلك المنطقة الجبلية .
وهنا انكشف اللغز مرة واحدة أمام الجميع .

فالذي حدث هو ان قاطع الطريق هذا كان قد توصل إلى أسلوب جديد في سرقة الناس ، بعد ان علم ان الغرفة التي تسام فيها قريبي (س) تستخدم لإيواء المدرسين الجدد ، فاستغل حداثة البناء ليبرح بعض صندوق الجيدار . ثم اختار معزة هزلة قبيحة المنظر ، فخبجها وحنط رأسها وجفف جلدها ، ثم خاطسه بطريقة تكتمه ، اذا استلقى على ظهره ، ان يدخل ساقيه في الجلد ، ويبررها في الثقب ، ثم يبدأ في تحريك ساقيه يميناً ويساراً ، فيخيل لمن في الغرفة ان روحاً شريرة تهمصت جسد معزة ، قد اخترقت الجدار لتسوء سوء العذاب . والنتيجة ان النزيل المسكين كان عاصدة يهرب بجلده إلى خارج الغرفة ، وقترع الإجراس الرهيب يرن في أذنيه . فكان اللص عند ذلك يدخل الغرفة ، ويسرق ما تركته ضحيته من مال وساعة وملابس .

وكان بعد ذلك ، بعيد الصغور إلى مكانها الأصلي ، فيخفي الثقب . فإذا عاد النزيل ومعه التجارة ، لم يجد القوم شيئاً يفسر اللغز ، مما جعل الاعتقاد ينتشر بين سكان القرية بأن الغرفة مسكونة .

والحقيقة ان اللص كان نادراً ما يلجأ إلى استعمال معزته الرهيبة ، لأن قطه الضخم الخيف كان يكفي في كثير من الأحيان ، لإدخال الزعب على قلب نزيل الحجرة الذي يجعل كيف دخل هذا الحيوان البشع غرقته المعلقة ، فيلوذ بالفرار ، تاركاً ماله وملابسه

وإذا بعينيه تعمان على منظر يجمد الدم في العروق .
ففي ركن تريب من الحجرة ، رأى رأس وحش شنيع الخلقة يهتز يميناً ويساراً ، ويرافق هزاته قرع أجراس له وقع تقتصر له الإبدان . فاحصر بالقرع يثقل أعضائه ، وتصيب العرق من جسده ، بينما جحظت عيناه والتصقت أنظارها بالرأس الرهيب لا تحيدان عنه . ومع ان سمعته كانت قد انطفاقت ، إلا انه كان يشاهد الرأس بوضوح يتوهج في ظلام الغرفة ، وهو يميل هذا الجانب وذاك في ابتاع رتيب رهيب .

وأخيراً استطاعت عينا (س) ان تحدد معالم الرأس ، فإذا به رأس معزة ذات قرنين طويلين ولحية بشعة ، أما صوت الأجراس ، فكان ينبعث من أجراس صغيرة عديدة تلتد من شعر المعزة الذي كان قد صنف في جدائل كجدائل امراة . وتكن أيضاً ان يدرك كنه الوهج الذي اثار الرأس القبيح ورسم هائلة من الضوء حوله ، فقد رأى سمعتين مغروستين بين القرنين اللتوين .

ومع ان (س) رجل قصير القامة ، ضئيل الجسم ، إلا انه شجاع القلب ، ثابت الجنان . . أو لمعل ما تسم به الآن لا يعدو ان يكون حركة غريزية لم يلعب فيها العقل الواعي اهم الدور ، فقد هب من سريره بسرعة البرق ، وتناول مجرفاً من بين الأدوات التي خلفها مال البناء في الغرفة ، ثم انتزله بكل قوته على رقبة المعزة . فإذا بصرخة تشييب لها الشعر تدوي في أذنيه . فاستقط المجرفة من يده ، واكتاد ينهاوى على الأرض في اغشاء ، إلا انه تمالك نفسه واستند إلى الجدار حتى لا يقع .

وكانت الشمعتان المنفرستان على رأس المعزة قد انطفأتا من جراء الضربة المائلة ، فغرقت الغرفة في ظلام دامس ، وعم السكون المكان بعد ان صمت الأجراس .

وأخيراً دبت الحياة مرة أخرى في سباتي (س) فانطلق يبيت عن باب الغرفة في الظلام حتى وجدته ، ففتحه ثم برق كالسهم إلى خارج المدرسة ، وطلق يعدو في اتجاه اقرب بيت في الطريق .

وما ان وصل إليه ، حتى اخذ يطرُق بابيه كالمهوس . فانساق أهل الدار من نومهم وفتحوا الباب ليجدوا (س) قد سقط مغشياً عليه على العتبة .

وعندما ارتد إلى وعيه ، وجد عشرات من الناس يحيطون به ويسألونه عما حدث . وبعبارة متعثرة ، أخبرهم . وكانت قواه قد عادت إليه ، فنهض وتوجه مع جماعة من الناس إلى المكان الرهيب الذي قد قضى فيه ليلته الليلاء .

وراءه ..

أما الذي لم يدخله طريد العدالة في حسابه أبداً ، فهو أن يهجم عليه أحد النزلاء ، ويكيل ضربة عنيفة لرقبة المعزة ، فيفصل ساقيه عن جسمه .
والتي القبض على الشقي ، فادخل المستشفى أولاً لمعالجته ، ثم قدم إلى المحاكمة ، غرقت به ، بعد أن رآته يتحول من شقي مخيف له سجل حافل بجرائم العنف والاحتيال ، إلى كسبيح لا حول له ولا قوة ، واعتبرت ما حل به عقاباً رباتياً يفوق عقاب البشر ، فأخرجت عنه بعد سجن ، بسيط ، ليقتضي بقية حياته شحاذاً يستجدي الناس على قارعة الطريق ، ويعيش على تصدقاتهم .

أما قريب (س) فقد تلقى تهانيء الاهالي والحكومة لتخليصه المنطقة من شر مجرم خطير . وهو اليوم يقتضي خريف حياته بين أبنائه واحفاده المعدين ، وكثيراً ما يحكي لهم بأسلوبه الشيق الممتع مغامراته الفريدة مع المعزة الرهيبة ، فيعيش الجميع معه مرة أخرى تلك الليلة الليلية .

التصور



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يصدر هذا الشهر

عمر اسرة الكتاب والأدباء في البحرين ...

■ "لمحات من الخليج العربي"

للأستاذ محمد جابر الانصاري

■ "البحرين وأهميتها بين الامارات العربية"

للاستاذ ابراهيم عبدالكريم محمد

■ "ديوان البشارة"

للسامرة سمح حداد

منشورات : الشركة العربية للوكالات والنوابع م.ب. ١٥٦ - بحرين